جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
University Echahid Hamma Lakhdar- El Oued
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
Faculty of Social and Human Sciences
قسم التاريخ
Department of History

محاضرات في مقياس

التاريخ السياسي لبلاد المغرب الاسلامي

في العصر الوسيط/ السداسي الأول

إعداد الدكتور:

علال بن عمر

السنة الجامعية: 2023/2022

مقدمة

منذ وصول حركة الفتح الاسلامي لبلاد المغرب، شهدت المنطقة حدوث حالة من التغير السياسي الذي اتضحت أهم ملامحه في ظهور أنظمة سياسية مرتبطة بواقع ما بعد الفتح، وكانت الساهرة على رعايته وضمان استمراره والمحافظة على مكتسباته.

و قد كانت بلاد المغرب محط العديد من الأحداث السياسية والعسكرية وما رافقها من تحول حضاري كان له انعكاسه على عموم المنطقة التي نجحت أولا في الانخراط في حركة الفتح والتعامل معها بخصوصية مكنتها من أن تكون في نهاية المطاف جزءا منها. ثم ثانيا نجاحها في أن تصبح عامل اسهام في تشكيل المنتج الحضاري الذي تحولت معه الى مركز اشعاع.

وهذا البحث سيكون العمل فيه موزعا بين جزأين سياسي وحضاري.

أستهل في شقه السياسي تتبع أهم ملامح التحول السياسي الذي صارت عليه المجالات المغربية في ظل حركة الفتح الاسلامي وما كان قد اعقبها عبر مجال زمني ممتد امتداد استمرار تفاعل الأحداث السياسية بالمنطقة.

وفي هذا الجانب سأركز بشكل مهم على حركة الفتح باعتبارها نقطة التحول والقاعدة التي انبت عليها المتغيرات المتلاحقة بالمنطقة

بعدها القي نظرة موجزة و سطحية لأهم الكيانات السياسية التي كان لها حضور فاعل بالمنطقة وشكَّلت جزءا من المشهد السياسي بتفاعلاته عبر الزمن.

أولا-أوضاع بلاد المغرب بعد الفتح الاسلامي

1- الفتح الاسلامي لبلاد المغرب

1 – 1 - السياق التاريخي: الفتح الاسلامي لبلاد المغرب يمكن الولوج اليه بالتعرف على أهم ملامح الوضع الاجتماعي الذي كانت عليه البلاد في أواخر الحكم الروماني والبيزنطي وما كان يمثِّله ذلك من حالة خضوع للسلطة القائمة وطبيعة العلاقة الاجتماعية معها.

1 – 1 – 2 - أفريقية الرومانية والبيزنطية: الى حدود القرن الثالث للميلاد كان الرومان قد اعتمدوا تسمية افريقية (Africa) للدلالة على عموم بلاد المغرب التي كانوا يسيطرون عليها[1]. والتي امتدت حدودها الغربية إلى حدود مدينة طبنة الواقعة بالقرب من مدينة بريكة الحالية.

أبرز ما يصادفنا في ما هو متصل بالتاريخ السياسي لهاته المنطقة هو شخصية الإمبراطور جُستينيان[2](Justinianus) الذي امتد حكمه بين سنتي 527- 565م، وإرادته غير المتناهية لمحاولة استعادة مجد الإمبراطورية الرومانية[3].

من المؤكد أمام هذا الواقع أن تكون المسيحية[4] كديانة، قد نظرت الى أفريقيا أو أفريقية كبيئة هي الأكثر ملائمة.

وهوما قد نجد له تفسيرا في تحوُّل السكان القدامى لبلاد المغرب أو جزء منهم الى المسيحية[5] في وقت لاحق[6].

---

[1]Decert - français , **L'afrique du nord dans l'antiquié**, editionpayot, paris , 1982,pp 22-23

[2] وهو من الشخصيات الفاعلة في التاريخ البيزنطي. حوله ينظر: يوحنا الآسيوي، **تاريخ الكنيسة**، تر صلاح عبد العزيز محجوب ، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2000، ص – ص 12 – 13. عرف عصره بكونه فاصلا في تاريخ الامبراطورية اذ كان آخر محاولة رسمية لا بقاء الملامح الرومانية في الجسد البيزنطي. مؤلف مجهول، **تاريخ ملوك القسطنطينية**، تح طارق منصور، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص4.

[3]Procope de césarée, **histoire secrète**, traduit par pierre moraval, les belles lettres, paris,1990, PP 17-18.

Victor de vito, **Histoire de la tersécution vandales en afrique**, traduit par sevgelamcef, les belles lettres, paris, 2002, pp 113-114.

[4] تتحدث الكتابات التاريخية مثلا عن حقيقة وجود جملة من بقايا مسيحية وحتى يهودية في البلاد الجنوبية التونسية التي ستشكل مجالا للسلطة المسيحية والتي ستكون أيضا فضاءا للحضور الإباضي في وقت لاحق. ينظر:

Tadeusz Lewicki, **Les Ibàdites en tunisie au moyen age**, accademiàplacca di scienceeletterebiblioteca di roma,1958, p3.

[5] ربما كان هذا التحول من قبل السكان واعتناقهم المسيحية (بصورة جزئية أو واسعة) مرتبط في جانب منه ربما لما قد يكونوا وجدوه فيها حينها من قوة روحية وما كانوا يعتقدونه من ايمان فيها. ينظر: روبين دانيال، **أصول التراث المسيحي في شمال أفريقيا**. دراسة تاريخية عن القرنين الأولين، مؤسسة تامنغاست، ليبيا، (د. ت). كما أكد لنا ابن أبي زرع حقيقة انتشار المسيحية بعموم البلاد المغاربية فأشار لواقع ما كان موجودا من العناصر النصرانية الى جانب اليهودية التي وصلت حتى لحود بلاد المغرب الأقصى. ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، منصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1972 ، ص7.

[6]Med Sadokbelhochi**, la conversienne des berbères à l'islam.** maison tunisienne de l'edition, 1981. pp 43 – 52 .

وقد اختلفت الروايات في تحديد تاريخ انتشار المسيحية في الأوساط البربرية الذي يشار الى أنه كان كبيرا، الا أن معظمها يميل الى اعتماد أواخر القرن الثاني للميلاد. عبد الحميد عمران، **الديانة المسيحية في المغرب القديم. النشأة والتطور** (أطروحة دكتوراه غير مطبوعة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2010 - 2011)، ص 73. علي محمود عبد اللطيف الجندي، **البربر في أفريقية في العصر الأموي** (رسالة ماجستير،

هذا الاتجاه قد يكون له نوع من التأثير في طبيعة العلاقة التي ستكون بين البروقنصلية كممثلة للإمبراطورية الرومانية من جهة، و سكان بلاد المغرب من جهة ثانية.

بعض الدراسات تقوم على اعتبار حالة الانقسامات المذهبية المسيحية أمرا قد طال أيضا بلاد المغرب حتى صار الانتقام سياسة منتهجة من قبل من بيده مقاليد السلطة الحاكمة حيث عرف عن مدينة غدامس[1]، أنها كانت تضم سجونا أو ما يمكن اعتباره منفى يوجّه له جميع المعارضين للسياسة الدينية المعتمدة كرافد لنظام الحكم وقتذاك. حيث كانت الكهوف والمغارات مكانا لإيواء أولئك المنفيّين.ولما كان هذا الإمبراطور على ما يذكر عنه مؤمنا بالمسيحية فإنه سيسعى لتوسيع نشر ديانته في أوساط من قد يعتقد بكفرهم أو وثنيتهم[2]. وتشير الروايات إلى أنه قاد حروبا طويلة ضد المور[3] خاصة في المجال النوميدي[4]. فيكون بذلك هدفه الواضح هو سعيه لإخضاع هذه الجماعات المتحررة في نظره والعمل في نفس الوقت على تنصيرها[5].

ومن سياق الأحداث يبدو أنه قد نجح إلى حد معتبر خاصة ما تعلق بإخضاعه المور الذين يبدوا أنهم قد أعلنوا في وقت لاحق عبر ملوكهم خضوعهم للإمبراطور الذي وعدوه بإقامة تحالف معه.

كلية اللغة العربية بالقهرة، قسم التاريخ و الحضارة، جامعة الأزهر، مصر، د ت)، ص18. ممدوح حسين وشاكر مصطفى، **الحروب الصليبية في شمال أفريقية وأثرها الحضاري**، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، 1998، ص- ص 57 – 58. ومع انتصار روما سنة 146م على قرطاجة تشكّلت البدايات التي كما قيل تسلّقت فيها الكرمة المسيحية بسرعة على خيمة الحضارة الرومانية وانطلقت أغصانها مخترقة الجماعات البربرية. روبين دانيال، **المرجع السابق**، ص69. و ما يزيد ذلك تأكيدا هو أن المسيحية كانت معتنقة في الغالب من قبل الجماعات المرتبطة بصورة أو بأخرى بالجاليات الرومانية وحتى البيزنطية. يوسف بن أحمد حواله، **الحياة العلمية في افريقية من الفتح وحتى منتصف القرن ق5ه**، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط1، 2000، ج1، ص87.

[1] تعد غدامس من بين أهم الحواضر الصحراوية الضاربة في القدم. أحمد مولود ولد أيده، الصحراء الكبرى. **مدن وقصور**، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ج1، ص25. وبخصوص هاته الفكرة فان الأمر لا يمكن استبعاده في ظل ما كان معروفا الى وقت قريب زمن السيطرة الاستعمارية للجزائر حيث كانت نفس تلك المجالات تضم عددا من مراكز الاعتقال الذي كان قد استُهدف به الجزائريون.

[2]Vassilier, **l'empire byzantin**, traduit par p-brodin a, bourguira, éditions, a, ricard,paris,1932,p 175.

يذكر في السياق العام المتوافق مع هذا الجانب، أن ارادة مسيحية تكون ربما قد تشكلت لمقاومة المطاردات اليهودية الرامية الى التصدي لانتشار المسيحية.

ينظر: داود علي الفاضلي، **أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، ، 1973، ص75.

[3] منذ الفترة الرومانية والبيزنطية شاع مصطلح المور (Maure)، للدلالة على قسم كبير من بلاد المغرب القديم، محمد البشير شنيتي، **المرجع السابق**، ص – ص 14 – 15. كما يمكن الرجوع الى الدراسة التي انجزت حول مجتمع مغرب ما قبل الفتح، والتي أشرف عليها المرحوم محمد الصغير غانم، وهي: مهما عيساوي، **المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ الى عشية الفتح الاسلامي**، (أطروحة دكتوراه علوم في تاريخ المغرب القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، الموسم الجامعي، 2009 - 2010).

[4]يشار الى أن ما قد يمكن اعتباره تغلغلا واسعا للمسيحية في المجالات النوميدية في حدود القرن الثالث للميلاد. عبد الحميد عمران، **المرجع السابق**، ص 157.

[5]Vassilier, **op cit** , p197.

حتى أن البعض من هؤلاء الملوك قدم له أبناءه كرهائن مقابل ما يبعث به إليهم من شارات القيادة حسب مقتضى التقليد المعمول به حينها[1]. يحدث هذا في حدود الثلث الأول من القرن السادس للميلاد. وهذا التحالف على ما يبدو كان الهدف أمامه موزعا بين من يريد أن يؤمّن لنفسه القيادة من ملوك البلاد الأصليين، وبين ضمان حياد السكان بالنسبة للقيادة البيزنطية[2] التي كانت حينها في صراع مع الوندال ويهمها أمر هذا الحياد الذي تنظر إليه على ما يبدو بعين الرضى.

1 – 1- 2 العلاقات مع البيزنطيين: تتحدث الكتابات التاريخية عن حدوث تحول سياسي وانتقاض هذا العهد وانقطاع حبل الود بين البيزنطيين والبربر[3]. وعلى الأرجح أن ذلك ربما كان بعد النجاح الذي تحقّق ضد الوندال. فيصبح البيزنطيون ينظرون إلى إمكانية استغنائهم عن البربر، بل ربما حاجتهم إلى إمكانية اعتبارهم مصدرا لتعويض النفقات العسكرية التي استنفذت في الحروب الخارجية.

فقد أشير إلى حدوث مواجهة القيادة البيزنطية مع الزعامات البربرية التي اضطر غالبيتها إلى الاتجاه نحو منطقة الأوراس والاحتماء فيها[4]. وهي التي كان يتزعمها الحاكم عيداس (Juvdas) الذي وجد نفسه في مواجهة مع القائد البيزنطي صولومون (Solomon) الذي كان يتولى أمر

---

[1]أحمد الأسود، **افريقية في عصر الولاة دراسة سياسية اجتماعية اقتصادية**(أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، غير مطبوعة، جامعة تونس، 2007-2008، ص 75.

[2] ارتبط الوجود البيزنطي بالمنطقة بهزيمة الوندال ، الا أن المراجع اختلفت في ذكر السنة التي كان فيها ذلك بين سنة 533م التي يُذكر أنها شكَّلت البدايات للحضور البيزنطي الذي بلغ حدود خط الليمس الروماني الدفاعي الممتد الى الجنوب من مدينة بسكرة اليوم. الهادي حارش، **التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري**، المؤسسة الجزائرية للطباعة والنشر، الجزائر، 1992، ص – ص 195 – 196، 281. وقد ربط ذلك بانتصار القائد البيزنطي بلزاريوس (Belisarios). عبد الرحمان حسين العزاوي، **المغرب العربي في العصر الاسلامي**، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص 21. بينما ذكر البعض أن تلك الهزيمة قد كانت مترافقة ومحاولة التوغل في المناطق الداخلية نحو العام 530م . العربي عقون، **الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية**، التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2010، ص69. في حين نجد رأيا آخر يذكر سنة 534م كتاريخ لطرد البيزنطيين للوندال. اسماعيل العربي، **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط، د ت)، ص188. وسيستمر هذا الوجود الى غاية نحو العام 698م الذي يحدده بن قربه نقلا عن مؤرخين بيزنطيين تاريخا لهزيمة الأسطول البيزنطي. صالح بن قربه، **من قضايا التاريخ والآثار في الحضارة العربية الاسلامية**، دار الهدى، عين مليله، الجزائر، 2012، ص 43.

[3] يرجح البعض أن اعتناق البربر في الفترة البيزنطية للمسيحية ارتبط بنظرتهم لها بما قد يتحقق لهم من خلالها من خلاص من التعسف الروماني الذي كانوا يعانونه. الحسن السائح، **الحضارة الاسلامية في المغرب**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1986، ص 103 (هامش رقم 1).

Med Sadok, **Op cit**. pp 57 – 60.

وما كان متداولا حينها من أن رأس الامبراطورية قسطنطين الأكبر كان قد أمر باتخاذ المسيحية كعقيدة للدولة. ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، تر عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1997، ص125. وقد كان هذا الاعتراف في نحو العام **313م**، ورافق ذلك رفعه الاضطهاد الذي كان مسلطا على المسيحيين. مؤلف مجهول، **تاريخ ملوك القسطنطينية**، تح منصور طارق، القاهرة، مصر، 2008، ص3.

[4]أحمد الأسود، **المرجع السابق**، ص 81.

ولاية إفريقيا بصورة عامة. وهو التحرك الذي انتهى بالقضاء على هاته الثورة والنجاح أيضا في ضم منطقة الزَّاب[1] (Zab) إلى الإمبراطورية التي ستحمل اسمها الجديد موريطانيا الأولى (Mauritanie Premiere)[2]. ما قد يؤشّر إلى انتصار الإرادة البيزنطية ولو بصورة مؤقَّتة. مقابل ذلك فإن هذا الانتصار العسكري كان له تأثيره الواضح على تأكيد الحضور المسيحي بعموم إفريقيا البيزنطية[3].اذ أن المسيحية هي الأكثر حضورا في الأوساط الشعبية والرسمية على حد سواء[4].وهذا الوضع سيكون بلا شك مريحا للكنيسة بإفريقية البيزنطية[5] التي سينفتح أمامها المجال ليكون لها النفوذ الذي من خلاله قد تسعى للتدخل في الشأن السياسي[6].

بعيدا عن الانقسامات المذهبية التي كانت عليها الكنيسة، فإن الظاهر أن شيئا ما ربما يكون قد حدث على مستوى السلطة المركزية البيزنطية. إن الفوضى والاضطراب السياسي وإرادة فرض مذهب على حساب آخر أو ربما حتى طموحات شخصية. ولعل هذا ما كان وراء اقدام (Gregoire)[7] الذي تسمّيه المصادر العربية جرجير ـــ وكان يحمل صفة البطريق ـــ على الانفصال عن السلطة المركزية وارادته أن يكوّن كيانا مستقلا به مستفيدا في ذلك من امتداد سلطانه عبر المجال الواصل من طرابلس إلى حدود طنجة[8].

---

[1]وردت العديد من الاشارات التي من شأنها أن تفيد باندماج هذا المجال في الفضاء المسيحي. من ذلك المراكز الأبرشية في كل من مدينة طبنة (Thubunae) و بادياس (Badias) الى جانب أسماء لأساقفة من طبنه . عبد الحميد عمران، **المرجع السابق**، ص كما أشير لوجود آثار تعتقد بأنها مسيحية في محيط مدينة بسكرة.
Mesnage (J) , **Le christianisme en afrique, auguste picard**, paris,1914, pp 123 – 124.
من جهته أشار الباحث علاوة عمارة الى أن عملية تمسيح بلاد الزّاب تعود لحود القرن الرابع الميلادي. علاوة عمارة، **(أسلمة بلاد المغرب ق 2 – 6ه/ 9 – 12م: محاولة في التحقيب والآليات)**،ضمن أعمال الملتقى الدولي حول الأسلمة والتعريب في المغرب والمشرق في العهد الوسيط، تونس 26 – 28 فيفري 2012، نشر مخبر العالم العربي الاسلامي الوسيط، جامعة تونس، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، 2015، ص20. وهذا ما يعني أن هذا المجال سيكون فضاءا لحالة من التجذّر المسيحي الذي سيستمر معه لوقت غير قصير.

[2]نفسه، ص 82.

[3] يمكن الرجوع الى مقال :
Mesnage (J) , Le christinisme en afrique, revue africaine, n 57, 1913, pp 361 – 370.

[4]Mesnage (J) , **op.cit**, pp 193-200

[5] مثّلت أفريقيا أو أفريقية في الفترة البيزنطية فضاءا رحبا للمسيحية البيزنطية. ينظر: يوسف عيبش، **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي** (أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر)، 2006 - 2007 ، ص – ص 117 – 139.

[6]Brehier (l), **Gregoire le grand et la conquete de l'afrique de nord** ¨par les arabes, blond and gay, paris,1938,pp112,114

[7]حول شخصيته ينظر ما كتبه الباحث عيبش، **المرجع السابق**، ص – ص 101 – 102.

[8]البلاذري، أحمد بن يحي، **فتوح البلدان**، تح عبد اللطيف أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، لبنان، 1987، ص 318.

وهو بهذا يكون قد أكد حقيقة الفشل البيزنطي في الوصول لإقامة كيان قوي يعكس حجم الانتصارات التي كانت قد تحقَّقت ضد الوندال. وغير مستبعد أن يكون ذلك نتاج تشنُّج العلاقة مع سكان البلاد في ظل ما كان قد نالهم من اضطهاد يبدوا أنه لم يستثن منه أحد[1]. وهو ما قد يخالف ما ذهب إليه الطالبي من كون روما كانت قادرة على النجاح في تحقيق انصهار العناصر البشرية بعموم بلاد المغرب[2]. وما قد يعنيه ذلك من فرض الهيمنة وبسط النفوذ بصورة واقعية.

2 - الاستطلاع:

غلب عليها طابع العمل الاستكشافي بقصد التعرف على المكان عن قرب تفاديا لأي مغامرة قد تعصف بالمجهودات المرجو الوصول الى تحقيقها، خاصة وأن الرؤية العمرية غير المتشجعة على الفتح لربما لازال صداها قريب عهد.

لذللك كان الحرص شديدا لأجل الوصول إلى المنطقة بأقل خسائر ممكنة وحتى لا يكون ذلك نوعا من الانتحار المؤكد الذي لا تُؤمن نتائجه.

صحيح قد تكون الرغبة في تأمين الحدود الغربية للدولة الاسلامية أمرا واردا مع السعي لدحر المخاطر نحو العمقالغربي كضرورة حربية حسب تعبير موسى لقبال[3]. الا أن التوجُّس من الغيب المنتظر كان الضمير المستتر على ما يبدو.

وقد اصطلح على تسمية أولى مراحل الفتح من قبل المؤرخين بهاته التسمية بيانا لما أشرت اليه وتأكيدا على ما أراه. كونها قامت على السعي لجس النبض واختبار خطى التقدم السليم في مجاهل منطقة ستكون الأكثر امتدادا في تاريخ حراك الفتح على عمومه.

3 - حراك الفتح: الفتح الاسلامي وربط المنطقة بالقيروان

في هذا المجال نتحدث عن حركة الفتح التي تكون قد وصلت إليه على ما يبدوا وبجهود كل من عقبة بن نافع (ت 63ه/ 683م) وابي المهاجر دينار (ت 63ه/ 683م) اللّذين تذكرهما مصادر الفتح مرتبطين بجغرافية المكان. ما يشير إلى وصولهما فعلا للمنطقة فضلا عن الحملات السابقة التي مهَّدت الطريق أمامهما.

---

[1] باقة رشيد، **(الأقليات الدينية في بلاد المغرب ومدى مساهمتها في ازدهار الحياة الاقتصادية من الفتح إلى العهد الموحدي)**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ع4، أكتوبر 2004، ص 85.

[2] محمد الطالبي، **الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184 – 296ه / 800 – 909م**، تر المنجيالصيَّادي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 1995، ص 148.

[3] لقبال، المرجع السابق، ص 26.////ماجستير 45

فروايات الفتح تتحدث عن حركة عقبة بن نافع (ت 63ه/ 683م) في ولايته الأولى والتي بلغت خيله فيها حتى الى غدامس، وربما بعدها حيث كان السير لافتتاح قفصة وقسطيلية[1]. وربما ساعد ذلك على الاقتراب بصورة أكثر من المجالات الواحية ومباشرة استكشافها. وهو ما قد يكون ربما مهَّد الطريق لغيره للوصول إليها في ظل ما سيتم تناقُله من روايات وما يتم تداوله من أخبار تناقلتها الركبان. ويقدم لنا خليفة بن خيّاط[2](ت 240ه/854م) رواية منفردا فيها عن غيره يذكر من خلالها أن أبا المهاجر يكون أوَّل من وطئت قدماه بلاد الزَّاب من غزوة غزاها كانت وراء استقراره بالمنطقة ثم دخوله في مواجهة مع الزعيم الأَوْرَبِي كَسِيلة الذي كان في طُبنة[3]. فهل ارتبط هذا الوصول بكون أبي المهاجر يكون منتميا إلى هذا المجال المغاربي فساعده ذلك على رغبة السرعة في الوصول إليه[4]. وهو أمر قد يكون القبول به صعبا في ظل معرفة أنه كان من المَوالي.

في فترة الولاية الثانية سيكون عقبة بن نافع الأشدُ حرصا على تحقيق مزيد من الإنجازات والمكاسب التي يريد أن يبرهن من خلالها عن حجم الثِّقة التي وضعت فيه. وأيضا ليؤكِّد لمن عزلوه بالأمس أنه قادر على إفادة الخلافة بضم مناطق جديدة لها وإخضاعها لسلطانها وما يتَّصل بذلك من قدرة على توسيع مداخيل بيت المال .

فالرقيق (ت420ه/1029) يفيدنا بتحرك عقبة بن نافع من القيروان حتى أشرف على مدينة باغاية أو باغاي حيث قاتل من تحصَّن بها ليرتحل بعدها إلى بلاد الزَّاب[5]. التي سيطيب له المقام فيها. ما قد يُشكِّل عاملا مساعدا يكون من خلاله قد استجمع المعطيات ودرس الوضع وبنى على أساس ذلك مساره لاستكمال عملية الفتح للمجال الزَّابي الذي سيكون منطلقه نحو تِيهرت[6]. جاءت المعركة التي ستشهدها مدينة أذنة[7]، لتشكِّل حدا فاصلا اعتبرها البعض فيه مُذهبة لعزِّ البربر وسُؤْدَدِهِمْ ببلاد الزَّاب حسب تعبير القيرواني[8]. وما سيكون بيانا لمدى الإنجاز الذي سيحسب

---

[1]ابن عبد الحكم، **المصدر السابق**، ج1، ص 265.

[2]ابن خياط، **المصدر السابق**، ص 17.

[3] ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 27.

[4]أحمد الأسود، **المرجع السابق**، 17

[5]الرقيق القيرواني، **المصدر السابق**، ص 42.

[6]ابن خلدون، **المصدر السابق**،ج6، ص 142. محمد محمد زيتون، **المسلمون في المغرب والأندلس**، دار الكتب، مصر، 1990، ص 34. حول تيهرت ينظر، المقدسي، **المصدر السابق**، ص228.

[7]وهي آخر مدن الزاب باتجاه الغرب، ينظر الحميري، **المصدر السابق**، ص 20.

[8]الرقيق القيرواني، **المصدر السابق**، ص 43. يشار الى أن عملية الأسلمة كانت سريعة الى حد كبير في بلاد الزاب ونجحت أيضا في تحقيق نوع من التعايش مع الجماعات اليهودية والمسيحية.

Houari Touati, **Histoire générale de L'algérie médiévale**, zaytouna, pp 16 – 24.

سياسيا لصالح قائد الفتح الذي صُوِّر من خلالها على أنه قد أذهب عزَّ الروم كذلك من المنطقة[1]. وهم من يكون المالكي (543-468ه/1075-1148م) قد عنى بهم من تبقى فعلا من الرُّوم أو مِنْ مَنْ كانوا مرتبطين بهم من أهل المنطقة.

في رواية لدى البكري (404 – 487ه/ 1014 – 1094) نجد أن مدينة بحجم طبنة التي كانت قاعدة بلاد الزَّاب[2] قد تأخَّر فتحها إلى زمن قدوم[3] موسى بن نصير[4] (19-97ه/640-716م). ذات الرواية أوردها في وقت لاحق صاحب الاستبصار مع اشارته إلى كونها من أعظم المدن وأكبرها[5]. فكيف لمدينة بهذا الحجم أن تكون خارج حسابات قادة الفتح الأُوَلْ. لعل ما كانت تعنيه الرِّوايتان هو عملية إعادة الفتح ربما لواقع ما كان قد حدث من تطور على مستوى الأحداث اللاَّحقة والتي ستتعاقب بصورة متسارعة كنتاج لمعركة أَذَنَة التي لا يبدو أن المنهزمين من ضحاياها سيكون من السهل عليهم استيعاب الموقف بالعفو عن عقبة الفاتح الذي سيكون هدفا لانتقامهم لمحاولة استعادة الوضع لسابق ما كان عليه.

من سياق الأحداث يبدو التنسيق[6] واضحا بين السلطة البيزنطية وجماعات المور. وهو أمر لا يبدو أن قائد الفتح كان منشغلا به أكثر من اهتمامه بتوسيع مجال الفتح. من غير أن ننسى أيضا أن إسلام أهل البلاد غلبت عليه في هذه الفترة السطحية[7]. ولم يتخلَّصوا بعد من رواسب مرحلة ما قبل الأسلمة. كون جهود الفتح لا تزال غير قادرة على الاهتمام بعملية الإفراغ والإملاء. رغم حضور الجانب الأسطوري، فان الرواية يمكن أن تقدم تصويرا لجانب سير الأحداث وتطورها. فالرواية تشير في نهايتها لما تعرض له عقبة في طريق رجعته من مسار شاق الى قاعدته بالقيروان. وقد

---

[1] المالكي، **المصدر السابق**، ج1، ص 23. كما كان هذا الواقع الجديد عاملا مهما لانتقال المؤثرات الاسلامية نحو بلاد السودان الغربي تأكيدا منها على مباشرة عملية تصدير الأفكار الجديدة بعد أن تم ترسخها في العمق المغاربي. خالدي مسعود، **(الصلات الاقتصادية والدبلوماسية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي وأثرها على الحياة الثقافية بين القرنين الثاني والثالث الهجريين)**، مجلة كان التاريخية، السنة السادسة،ع20، 2013، ص – ص 84 – 87.

[2] ما يقرب الصورة ويوضح المشهد ما ستعرفه المدينة من تراجع في وقت لاحق. اذ يشير المراكشي إلى تراجع هذه المدينة خلال ق 7ه/13م، حينما يذكر مدينة نقاوس ولا يأتي على ذكرها، مما يعني احتمال تراجع مكانتها. ينظر، المراكشي، **المصدر السابق**، ج2، ص 287.

[3] قدم موسى لبلاد المغرب في حدود سنة 78ه/697 م، أو79ه / 698م، ابن عبد الحكم ، **المصدر السابق**، ج1، ص 274

[4] البكري، **المصدر السابق**، ج2، ص711.

[5] العمري، **المصدر السابق**، ص 172.

[6] جورج مارسيه، **المرجع السابق**، ص 36.

[7] يشير في مثل هذا الواقع كارل بروكلمان الى جانب من الواقعية المرافقة لهذا الجانب بتأكيده فيما يخص القبائل البربرية الصحراوية التي رغم اعتناقها الاسلام الا أن ارتباطهم بالدين لا يزال ضعيفا ومحدودا. كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الاسلامية**، تر نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، ط10، 1984، ص316.

صار في قلة من جنده عند مجال تهُودة[1] وبَادِسْ[2] من بلاد الزَّاب ، أين قُوبل من أهلها حسب الروايات بالصَّدْ والإعراض وربما الشتم. ولعل ذلك لم يكن حدثا معزولا، ليجد معه لقائد الفاتح في مواجهة تحالف لا يبدو أنه كان وليد اللحظة. وهو التحالف السياسي الذي اجتمعت فيه المصالح المشتركة لعدد من الجماعات البربرية على اختلافها إلى جانب العدو التقليدي من البيزنطيين[3]. وهو التحالف الذي كانت نهايته غير متأمَّلة لمن كان يبحث عن مجد عظيم يحقق به عزّ الإسلام بالمنطقة. يشار من قبل بعض الباحثين الى أن انتشار الاسلام في اوساط أَوْرَبَة كان قد تحقق فعلا زمن كَسِيلة[4]. بينما قدَّم لنا الباحث البولندي تاديوش لفيتسكي رأيا مغايرا من الناحية الزمنية، اعتبر فيه التحوُّل الحقيقي نحو الاسلام مرتبطا بشكل أساسي بفترة الكاهنة[5] اذا ما أخذنا في الاعتبار ما أحاط بها من أراء تنفي وجوده وتجعلها أقرب للظاهرة الأسطورية.

لا ندري إن كان عقبة بن نافع قد وصل إلى منطقة تَهُودة من مسار غير المجال الذي كان خاضعا للمراصد البربرية البيزنطية كما يذكر أحد الدارسين حينما أشار إلى أنه انطلق من فضاء غَدَامس مرورا بمناطق البيبان وحاسي القاسي ووارجلان وتوقرت وبسكرة كما أسماها قبل أن يصل لتهودة التي كان فيها مصرعه حسب ما أورد في تعبيره[6]. مسار مغاير لما أورده جمهرة رواة الفتح. كما أنه لا يتوافق وطبيعة مسار الأحداث وحتى السياق العام. وإلى جانب نظرة استراتيجية كون الطريق صحراوي بامتياز بما يحمله من مشقة غير محمودة العواقب لجيش يريد أن يحقق المكاسب مراهنا على عامل الزمن. ما يجعل من تلك الرواية أبعد ما تكون عن امكانية القبول بها على أي وجه.

---

[1]تهوده أو تهدودا أو تهوذا : اسم لنفس المجال الواقع ضمن بلاد الزاب والتي تتناولها العديد من المصادر الجغرافية و التاريخية على حد سواء.

[2]بادس: من بلاد الزاب وهي بمثابة حدِّه الشرقي.

[3]ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 29.

[4] ناجية أحمد، **وضع القبائل البربرية في المغرب الأدنى والأوسط من وفاة الكاهنة الى نهاية العهد الأغلبي** (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، تونس)، 2013، ص41. كما لم تستثن القبائل البترية كهوارة وجراوة ولواته من هذا الانتشار. ويقدم ناجية في ذات السياق رأيا يقوم على اعتبار أن تغلغل الاسلام بشكل ملحوظ في أوساط المجموعات القبلية البدوية عموما انما مرده في جانب مهم منه الى كونها كانت الى حد ما بعيدة عن مجالات نفوذ الرومان والبيزنطيين .**نفسه**، ص42.

[5]Tadauz**, prophete . . . , op cit**,p6. .

و بالرجوع الى عدد من الروايات التي تشيد بالبربر وأسبقيتهم في التواصل معه. ينظر: الدرجيني، **المصدر السابق**، ج1، ص – ص 15 – 19. مؤلف مجهول، **مفاخر**، ص – ص 180 – 184. وبعيدا عن مناقشة تلك الروايات من حيث الصحة أو عدمها. فإنها تترجم لنا على العموم رغبة ملحة في الانتساب للإسلام وما مثّله من رمزية بالنسبة لهم كدين و كمصدر لثقافة جديدين.

[6] الشيباني، **المرجع السابق**، ص 166. من وجهة نظري قد أستبعد هذا المسلك لما فيه من مهالك. وبعد المسار فيه أيضا. الرأي. ولا أرى أي دافع لقبول هذا

وعلى أي حال فإن موقعة تهودة كانت بمثابة أول اختبار للجماعات البربرية التي يبدوا أنها ستعتبرها منطلقا للتحليق في آفاق طموحاتها. تشجّعها وتنشّطها وتغذّيها حسب تعبير جعيط[1]، ربما لتختبر مدى قدرتها على تحقيق القيادة واختبار مدى التفاعل مع تجربة السيادة. وعموما فإن بلاد الزَّاب وبعد استتباب الوضع لصالح السلطة المركزية ستصبح تمثل أحد أهم مراكز التجمعات ذات الأهمية سواء زمن الأمويين أو العباسيين[2]. ولعلَّه ذات الرأي الذي نجده في وقت لاحق لدى العدواني (ق17م) في معرض حديثه عن بعض المجالات الزَّابية التي ذكر أن حلفهم مع بني أميَّة جعل منهم خداما للأرض في ظل انشغالهم بالنشاط الزراعي[3].

4 - الاستقرار: لا يمكن الحديث عن حصول استقرار بالمجالات المغاربية من دون ابتداءه بحركة الفتح وارتباطه الوثيق بها لما كانت تمثله تلك المجالات من امتداد بالمجاورة الطبيعية والتماثُلات الاجتماعية[4]، أو بالارتباطات السياسية في وقت لاحق. وما كانت تمثله السياسة العسكرية من مقتضيات.

المتتبع لحركة الفتح من بداياتها يدرك يقينا عدم حضور بلاد البربر إجمالا في الاهتمامات السياسية وقتئذ.

إلا أن ما كان قد حصل من متغيرات على مسار تطور الأحداث وتسارعها قد فرض حتمية التحول نحو اعتماد سياسية جديدة في النظرة لبلاد البربر وفي التعامل معها. قد تكون الدوافع المادية من بين العوامل الأهم في حدوث هذا التحول بالنظر إلى ما كان يحيط بذلك من قضايا متعددة الجوانب، لكنه لا يمكن التسليم بكون الخلافة منقادة فقط لأهداف تبعدها عن توجهاتها المرتبطة بكونها تحمل إرادة تجسيد مشروع رسالي يحفظ لها في الأول والأخير استمرارية الوجود الذي ارتبطت به. بتتبع حركة الفتح نجد أن القيادة القائمة عليه لم يكن غائبا عنها على ما يبدو ـــ على الأقل من بعض الإشارات ـــ تفكيرها في ابتناء ما قد يمكن اعتباره نواة لبدايات الاستقرار في بلاد البربر الشرقية والانطلاق للتوسع اعتبارا منها، خاصة باتجاه المناطق الغربية حيث المجالات الواحية محل دراستنا.

فعبد الله بن سعد (23 ق ه – 36أو37 / 644- 656م) باعتباره من قادة الفتح الأُوَلْ لا يمكن أن نسلِّم بأن حركته كانت مجرد ومضة خاطفة، إذ يشار إلى أنه ربما بقي بالمجال البربري زهاء

---

[1] هشام جعيط، **المرجع السابق**، ص 24.

[2] **هشام جعيط، المرجع السابق**، ص 152.

[3] محمد العدواني، **المصدر السابق**، ص- ص 81-82.

[4] تبدو الخلفية الاجتماعية للفاتحين الى جانب الاقتصادية قد تحقق فيها جانب من التطابق مع فئات من المغاربة المقيمين خاصة في الفضاءات الواحية أو القريبين منها وولّدت حالة من التوافق بينهم. محمود أحمد، **مقدمة في تاريخ المغرب الاجتماعي والاقتصادي**، شركة Elgala، مالطا، ايطاليا، 1997، ص108.

العام أو ما قد يزيد، وهذا ما قد نقف عليه من خلال شدة بلاءه التي دفعت على ما يبدو زعامات المجموعات القبلية البربرية الذين اجتمعوا إليه وتفاوضوا معه على أن يخرج من بلادهم بمقابل مادي[1]. فتعبير الخروج الوارد في هذا السياق يشير ربما حقيقة إلى أنه كان مقيما بينهم، وهو بهذا سيفتح المجال أمام تشكُّل إرادة البقاء بهاته المجالات التي ستكون فرصا جديدة لتوسيع مجال الخلافة وسيادتها. وهو ما بدأ يتجسد واقعا مع خلفه معاوية بن حديج[2] (ت 52ه/670م) الذي تقول رواية ابن عبد الحكم (178- 257ه/800- 871م) أنه وبعد ما حققه من غنائم "اتخذ قيروانا عند القرن فلم يزل فيه حتى خرج إلى مصر"[3].ويشير صاحب المعالم إلى أنه ربما حفر آبارا وابتنى دورا[4]. ان هاته المنجزات ستحتاج عمليا إلى وقت ليس بالقصير، وربما تؤشّر في ذات الوقت لبعض النوايا التي ربما لم يكتب لها الاستمرار في حينها.

وباعتماد الدراسة الطوبونيمية[5] يمكن أن نتلمس بعض ملامح الاستقرار المرتبط بحركة بن حديج الثانية (47ه/667م)، إذ كان نزوله بالجبل وما أصابه فيه من المطر عاملا في إطلاق التسمية عليه ليصبح اسمه ممطور[6] محل تداول بين ساكنة المجال المنتمي اليه. ثم انه لما خاطب من معه ربما في محاولة لتجنب هذا المطر الذي ربما كان على ما يبدو شديدا، أن يتحول إلى ما عبّر عنه بالقرن ربما بمعنى الزاوية فكان اسم القرن[7] .

كذا فإن اطلاق اسم الزَّاب مثلا بما يحمله في ثناياه من جذور مشرقية على مجالات نوميديا[8] يندرج في ذات السياق.

ربما أشير هنا إلى ما أحدثه العرب الفاتحين من تسميات جديدة أرادوها ربما لتكون محل تعارف وتداول بينهم . وهو ما قد يحمل في عمقه المعنى بأنهم كانوا ينوون الاستمرار والاستقرار. وبقدومه سيكون عقبة بن نافع (ت63ه/ 683م) المؤسس الحقيقي لمرحلة الاستقرار الفعلي. إذ كانت نيته في البقاء واضحة من البداية، وهو ما قد يبدو من خلال عدم إعجابه بالبناء الذي وجده

---

[1] البلاذري، **المصدر السابق**، ص 318.

[2] حول حركته في اطار عملية الفتح ينظر: الباجي المسعودي، **المصدر السابق**، ص – ص 61 – 62.

[3] ابن عبد الحكم، **المصدر السابق**، ج1، ص 260.

[4] الدباغ، **المصدر السابق**، ج1، ص 141.

[5] تعرف الطوبونيميا على أنها معرفة تطور أسماء المواضع وضبط الأعلام الجغرافية. محمد البركة وآخرون، **الطوبونيميا بالغرب الاسلامي**، مطبعة أفريقيا للشرق، ص – ص 11 – 55. ليليا بنسالم وآخرين، **الانتروبولوجيا والتاريخ – حالة المغرب العربي**، تر عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال،المغرب،1988. محمد البركه، **(الطوبونيميا والبحث التاريخي محاولة في تجديد أليات البحث التاريخي)**، مجلة كان التاريخية، السنة السادسة، العدد24، 2014، ص – ص 121 – 125.

[6] ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج1، ص 15.

[7] نفسه، ج1، ص 15.

[8] سمية البوازدي، **المرجع السابق**، ص 6.

من قبله. ففكّر والناس تؤيده في مسعاه في بناء مدينة[1] خاصة تؤكد فعلا على وجود سلطة جديدة تحمل معها إرادة البقاء والانطلاق نحو الجهات الغربية، كما قد ينظر إليها على أنها قد تمثّل بالفعل نوعا من العزم على إحداث القطيعة مع الماضي البيزنطي[2] والتأسيس لمرحلة جديدة بما تتسم به من خصوصيات تتعدد تجلياتها انطلاقا من معالم المدينة الجديدة وما ستحمله من مؤسسات تأخذ على عواتقها مهمة تجسيد تلك القطيعة والبناء لواقع حضاري جديد. اذ شكَّلت المدن الجديدة فعلا عامل تحول حقيقي نحو ترسيخ عملية الأسلمة[3] ومن ثمة كانت عملية الاستقرار.

لعل الإشارة التي أوردها ابن عبد الحكم (ت 257ه/ 870م) تعطي نوعا من الانطباع على طبيعة التعاطي مع فتح بلاد البربر، حيث أشار إلى غياب الاستقرار[4]، ولعله يعني بذلك العموم. وهو أمر كان حري بقيادة الفتح أو الولاية في مصر على الأقل ضرورة التفكير فيه والنظر إليه باستشراف كما يتأمل أن يكون عليه مستقبل هاته البلاد[5]. ويشير ابن عبد الحكم (ت 257ه/ 870م)في ذات السياق إلى اعتبار أن أبا المهاجر دينار (ت 63ه/ 683م) يكون أوّل من أسّس حسبه لإطالة المكوث والاستقرار بالبلاد المفتوحة ببقائه فيها نحوًا من العام حتى أنه اتخذ منها منزلا إلى غاية عودته مصر[6]. وتشير الرواية إلى أنه تجاوز مدينة عقبة "فابتنى ونزل"[7] . ولعل هذا ما قد نجد فيه ربما جانبا من التأييد لما سيطرحه الناصري المؤرخ المغربي الحديث (1250-1314ه/ 1835-1897م) في وقت لاحق من كون أبي المهاجر يكون أوّل من وطِئت قدماه بلاد الزّاب[8]. مع ما يبدو من كون صاحب الرواية غير متخصص في تاريخ الفتح، وهو ما يعني أننا سنأخذها بجانب من التحفظ خاصة و أنه لم يتكرر ذكرها لدى غيره مِن مَنْ تناول تاريخ الفتح وحركته. لا تبدو

---

[1]ابن عبد الحكم، **المصدر السابق**، ج1، ص 265. وقد أصبحت القيروان كواحدة من ركائز المدن الاسلامية الكبرى. ينظر: الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **كتاب الجغرافية**، تح محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د ت)، ص 109.القزويني، **المصدر السابق**، ص242. أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، **مسالك الممالك**، دار صادر، بيروت، لبنان، 1927، ص 40.

[2]محمود أحمد أبوصوة، **المرجع السابق**، ص 193.

[3] العربي عقون، **المرجع السابق**، ص 45.

[4]ابن عبد الحكم، **المصدر السابق**، ج1، ص 266. لا يخفى هنا كيف كان البربر شغوفين الى حد كبير بالإسلام الذين يبدو أن اعتناقهم له كان دونما كبير اكراه او اجبار في ظل تخليهم عن معتقداتهم السابقة. المنجي الكعبي، **المرجع السابق**، ص57.

[5]ثمة رأي يقوم على اعتبار أن ما كان قد حصل من انتقال لعاصمة الدولة الاسلامية الى دمشق و اقترابها بذلك من الحدود البيزنطية قد كان له أثره في مسار عملية الفتح نحو بلاد المغرب الاسلامي. عبد العظيم رمضان، **الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الاسلام الى انتهاء الحروب الصليبية**، دار المعارف، القاهرة، ص76. و لعل هذا ما قد يعزز الرأي القائم على اعتبار فكرة الوصول الى العاصمة البيزنطية عبر الالتفاف عليها من الناحية الغربية.

[6]ابن عبد الحكم، **المصدر السابق**، ج1، ص 266.

[7]ابن عبد الحكم، **المصدر السابق**، ج1، ص 334.

[8]الناصري، **المصدر السابق**، ج1، ص 80.

المجالات الواحية حاضرة في هذا المشهد بصورة جلية، لكن في الوقت نفسه لا نظن أنها كانت بعيدة عن إشعاعات الأحداث التي لاشك أن صداها كان حاضرا في ظل التقارب المجالي.

لكن يبدو أن الصدام العنيف الذي حدث في شرق المجال الزابي على أسوار مدن بادس وتهودة، وما أعقبه من سيطرة بربرية على مركز السلطة بالقيروان قد ولّد حالة من النفور لدى سكان مناطق تقع في عمق المجال البربري[1]. وكان هذا الحدث يمكن أن يكون محطة لتقدير السياسات المستقبلية واستثماره بما يقي المشروع الجديد ويؤمّن له أكبر فرص للنجاح. وقد لا يكون مستبعدا أن هذا الواقع هو الذي أثّر بصورة أو بأخرى على طبيعة السياسة الجديدة التي ستنتهج من قبل حسَّان بن النُّعمان(ت 86ه/705م) الذي يكون قد وصل المجال الواحي واستهل وجوده فيه كما أشارت لذلك المصادر بمواجهة مع الكاهنة (39- 82ه/585- 712م) انتهت بالخضوع للسيادة العربية وتحقيق النجاح في اختراق المنظومة القبلية البربرية وتوجيهها لصالح مشروع الفتح وضمان حيادها الذي سيؤمّن أكبر قدر من الاستقرار الذي من شأنه المساعدة في عملية ترتيب المنظومة الداخلية. فسياسة الإدماج التي اعتمدها حسَّان (ت 86ه/705م) بعقده لابْنَيْ الكاهنة[2] على جموع البربر ضمنت له مؤازرة بربرية ستشمل ربما المجال الواحي المجاور لأوراس الكاهنة وتمنحه فرصة تأكيد استقراره في هذه المنطقة. ولعل هذا ما دفع بجل الروايات التي تناولت حركة حسَّان بن النُّعمان (ت 86ه/705م) إلى التأكيد على استقرار الوضع بعموم المجالات الإفريقية بما فيها بلا شك المجال الزَّابي الذي كان جزءا منها وتسليمه لانقياده للسياسة الجديدة[3]. فيكون بذلك حسان بن النّعمان (ت 86ه/705م) قد صبغ إفريقية بصباغ العروبة والإسلام[4]- أي أن الانتماء الجديد هو في حقيقته تجسيد لمرحلة استقرار الوافد من خارج المجال. وهو ما سيعكس حالة من التحول المجتمعي العميق خاصة في ظل التأكيد على أن القبائل العربية ستتجاوز هذه الحدود في اتجاه الغرب زمن موسى بن نصير[5] (19-97ه/640-716م). حيث كانت القبائل العربية المتَّجهة عموما الى افريقية كانت تجمل معها بنوايا الاستقرار في الغالب، وربما كان البعض منهم يسعى لامتلاك الأراضي[6].

---

[1]محمود أحمد أبو صوة، **المرجع السابق**، ص 115.

[2]التجاني، **المصدر السابق**، ص 58.

[3] الرقيق القيرواني، **المصدر السابق**، ص50. ابن عبد الحكم، **المصدر السابق**، ص 271، ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج7، ص 144، ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص 32.

[4]مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، **القبائل العربية في بلاد المغرب في عصري المرابطين وبني مرين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982 ، ص37.

[5] أبو ضيف، **المرجع السابق**، ص 38.

[6]بوخالفة نور الهدى، **الاسلام والتعريب في الشمال الافريقي في القرون الثلاثة الأولى** (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1986)، ص 213.

وربما كانت هاته الحركات يغلب عليها الطابع الجماعي مما شكّل عاملا مهما في التحول في نمط الحياة من البداوة الى الحياة الحضرية[1]. ما يعني أن وجودها بالمجال الزابي على وجه التحديد صار غير قابل للتنازل على الأقل من الزاوية التشاركية مع النسيج البربري في مراحله الأولى[2]. فقبائل زُغبة على سبيل المثال كانت قد اتّخذت من مدينة طبنة مستقرا لها بعد الموجة الهلالية[3].كما يقدم لنا ابن سعيد افادة بان قبائل رياح صارت الى الشرق من مدينة المسيلة[4]. ما يعني ان جزءا منها كان قد استقر ببلاد الزَّاب. كما عرف عن تهودة أن سكانها عرب[5].

وقد اتَّجهت الجهود في ظل هذا الوضع إلى عمليات التجديد وترميم ما كانت آلة الحرب قد أتت عليه. وهو ما نجد فيه إشارة لدى الوزان في حديثه عن مدينة بسكرة التي استفادت من عملية إعادة البناء بأيدي الفاتحين[6] الراغبين في الاستقرار بها على ما يبدو. ولعل ذلك ما جعل منها مدينة في مستوى عاصمة المجال الذي تقع فيه اعتبارا من أواسط القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي[7]. وما ذلك إلا لما كانت المنطقة قد توافرت عليه مما ساعد على الرغبة في الاستقرار بها. وهو ذات ما قد نجد له حضورا في المجال الواحي بوارجلان وإن كان متقدما عنه زمنيا لكنه يوحي بحالة من الاستمرارية ذات الصلة بطبيعة المجال الواحي. فهذا أحد أعلام وارجلان الشيخ

---

[1]بوخالفة نور الهدى، **(استقرار العرب وانشاء المدن والقرى في المغرب الوسيط)**، أعمال الملتقى الدولي: التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور ، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، أفريل 2001، ص 51.

[2] تنوّعت التركيبة البشرية لسكان مجتمع ما قبل الفتح فكان من بيهم الأفارقة الذين قيل أنهم في أصلهم بربر لكنهم اختلطوا بالرومان وأخذوا عنهم ديانتهم أو أنهم في رأي آخر من أولئك الأجانب اللذين طال بهم المقام فصاروا أفرقة ربما بانتسابهم لهاته البلاد. محمود اسماعيل عبد الرازق، **المرجع السابق**، ص286. ينظر أيضا: كولين ماكيفيدي، **أطلس التاريخ الأفريقي**، تر مختار السويفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1987، ص13. وقد شاع استخدام هذا المصطلح خلال الفترة الرومانية والبيزنطية بشكل واسع. محمد حسين فنطر، **(اللوبيون وحدة أم شتات قبائل وشعوبمختلفة)**، مجلة أفرقيه للدراسات الفنيقيةوالبونية والآثار اللوبية، ع12، منشورات المعهد الوطني للتراث، تونس، 2002، ص 44. يضاف لهم من وُصفوا بالعجم الذين ربما كانوا هم ذاتهم الأفارقة. موسى لقبال، المرجع السابق، ص 16.و على العموم فان أهم ما كان قد ميز المجتمع الموروث عن الحقبة البيزنطية هي صورة المجتمع ذو الملامح الريفية الغالب عليها طابع البداوة والذي كانت القبيلة فيه بمثابة المرتكز. عيبش، **المرجع السابق**، ص114.وقد حافظ الفتح الى حد معقول على ارتباط الريف بالأرض، لدرجة احياءه فكرة النسب والتضامن القبلي التي كانت قوى النفوذ الروماني والبيزنطي في استئصالها. هشام جعيط، **المرجع السابق**، ص158.

[3] الطيب بوسعدة، **(دور علماء طبنة في العصور الاسلامية الوسطى)**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، ع3، 2008، ص96.

[4]ابن سعيد المغربي، **المصدر السابق**، ، ص 126. كما كان لقبيلة رياح دور في البيعة التي قدموها للأمير الحفصي أبو اسحاق أخو المستنصر سنة 666ه/1267م. ابن قنفذ القسنطيني، **المصدر السابق**، ص118.

[5] محمد الطمار، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص149.

[6]حسن الوزان، **المصدر السابق**، ج2، ص 138.

[7] ابن سعيد المغربي، **المصدر السابق**، ص126.

أبو صالح جّنَّوْنْ بن يمِرْيَانْ(ق4ه/10م)[1] كاتبه أحد أبناء عمومته يُعيّره بالفقر حيث هو، فكان رده يحمل تأكيدا على مدى تأثير المجال الواحي في تحقيق الاستقرار بقوله " أن أرضنا مقعد رجل يوقر بعير عسلا"[2].

وهو يشير بذلك إلى ما توفره النخيل من حالة ثراء يعكس بواعث الاستقرار الإسلامي الأول في عموم المجالات الواحية. إن طول المدة التي استغرقها الفتح والتي تعددت عواملها، ستكون في ذات الوقت مهمة في تعميق الوجود وتجذّر الاستقرار. ما يعني ابتداء إحداث عملية الإقلاع لترسبات الماضي البيزنطي القريب مقابل أن صارت المنطقة مدعوة الى تحمل مخاضات التحوّل الكبير الذي انخرطت من خلاله في مدار الثقافة العربية الإسلامية[3]. وهو ما سيتبلور في ظل المشاركة الأكيدة لعدد من الصحابة[4] والتابعين وانخراطهم في عملية الفتح. إلى جانب ما أشرنا إليه من انخراط عدد من القبائل العربية وربما استقرارها. إذ أن الإشارة الواردة بخصوص استحداثه للدواوين[5] تؤكِّد هذا، وما دام سلطانه قد شمل بلاد الزاب أيضا فلا شك أن تكون مشمولة بهذا الاستقرار. من جانب آخر فإن حضور الاسم الصحابي في بعض الروايات الشعبية ببلاد سوف والتي تدور حول قبر يقال له (قبر الصُحْبِي)[6] الواقع في الأطراف الشمالية الشرقية، ويقال أن الشيخ الأمين غمام عمارة الذي عرف بصلاحه وامامته كان يزوره كل سنة[7].

وسواء صحت الرواية القائمة على اعتبار أن صحابيا أو ربما تابعيا قد يكون ربما من جيش عقبة قد وصل المكان فإن ما لا شك فيه هو أن التماس المجالي يؤكد أن المجالات الواحية[8] لم تكن بمنأى عن حركية الاستقرار الذي كانت جزءا منه على ما يبدو، وهو ما قد نستطيع أن نقف عليه أيضا من زاوية انتقال أنماط العمران خاصة منه العمارة الدينية إذ نجد حضورا واضحا لأشكال الصوامع القيروانية التي نجد لها حضورا في عمران مساجد سوف بشكل كبير كما هي الصوامع

---

[1] وهومن شيوخ وارجلان المشهود لهم، كان على ما يبدو يدير أمر البلاد منذ زمن حتى قبل سقوط الدولة الرستمية .حوله ينظر: بحاز ابراهيم وآخرون، **معجم أعلام الاباضية**، المطبعة العربية، القرارة، الجزائر، ط1، 1999، ص

[2] الشماخي، **المصدر السابق**، ج2، ص 543.

[3] هشام جعيط، **المرجع السابق**، ص 13.

[4] حول هاته المشاركة ينظر: أبو عمرو خلبفة بن خياط شياب العصفري، **كتاب الطبقات**، تح أكرم ضياء العمري، مطبعة العاني، بغداد، العراق، 1967، ص – ص 293- 297. محمد أبو راس بن أحمد الناصري المعسكري، **الاصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة**، تح أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، 2010. البلاذري، المصدر السابق، ص307. الباجي المسعودي، **المصدر السابق**، ص – ص 66 – 72.

[5] الرقيق القيرواني، **المصدر السابق**، ص 50. ابن عبد الحكم، **المصدر السابق**، ج1، ص 271.

[6] الجباري عثماني وآخرون، **الشيخ الأمين غمام عمارة مسيرته وآثاره 1920-1983**، مطبعة سخري، الوادي، هامش رقم 100، ص – ص 70-71

[7] **نفسه**، ص- ص 44-74.

8 ينظر أعمال ملتقى الحواضر الواحية بالمغرب الأوسط وافريقية (التفاعل المجال الأهمية) الذي انعقد بقسم التاريخ ، جامعة الوادي، أيام 13-14 ديسمبر 2023.

ذات الأنماط المخروطية المميزة للعمران الإباضي والتي نجدها حاضرة حسب الصور[1] في زاوية سيدي سالم وأيضا بالمسجد العتيق بمنطقة الحَمَادِينْ وأيضا في المسجد المعروف باسم جامع النَّخْلَة قبل تجديدهما. وهي المجالات التي سنجدها مشمولة ضمن حدود الدولة الأغلبية[2]، مما يعني خضوعها لسلطانها. ولا تبدو السلطة الأغلبية مستعدة للتفريط في سيادة استقرار سلطانها بالمجالات الواحية كما هو الشأن في تعاطيها مع الثورة التي قادتها جماعات بربرية. فقد أشار الرقيق القيرواني إلى اشتداد فتنة كل من الصُفرية والإباضية التي تحركت لمحاصرة عمرو بن حفص[3] (ت 154ه/ 771م)، وهو من مدينة طُبنة ببلاد الزَّاب[4]، ومواجهته في مدينة تهودة، وبذل قصارى الجهد لإنهاء هذا التحرك الذي استهدف الاستقرار العربي بالمجال الواحي، الذي سيعرف بلا شك جملة من التغيرات الاجتماعية العميقة[5].

وتؤكِّد الروايات أن نوعا من التحالف البربري يكون قد تشكّل[6]، ولا بد أن يكون هدفه الرئيسي تأكيد السيادة البربرية بالمجالات الواحية. ولمواجهة مثل هذه الأوضاع ستنتهج السيادة العباسية في مصر ممثلة في شخص ابن الأشعث (ت149ه/766م)سياسة جديدة للتأكيد على إصرارها على الاحتفاظ بوجودها وتبعية المجالات الواحية كباقي البلاد الإفريقية لها. فكان تعيين العمال[7] يكون على أساس الكفاءة والأهلية، وفي هذا السياق اختصت بلاد الزَّاب وهي التي أكدت الأحداث الأخيرة أهميتها كثغر في مواجهة التهديدات البربرية، وعين عليها الأغلب بن سالم التميمي[8] (ت150ه/767) الذي اتَّخذ من مدينة طبنة مقرا له[9] . كما أن أبا عبد الله الذي يكون قد انتهى اليها نحو العام 297ه/909م قد وافى بها عدد من القبائل الكثيرة مِن مَن وُصفوا بأنهم من أهل الخلاف[10]. و لعله قصد بهم في ذلك الاباضية بحسب ما أكَّده في موضع آخر، حيث أشار اليهم بالاسم وقال عنهم أنهم يذهبون مذهب الاباضية[11]. وهم القريبون جدا من بلاد الزَّاب التي سوف لن تكون بمنأى عن التفاعل مع ذلك. واستطاع بما كان يملك من البأس والحزم والخبرة الحربية إلى

---

[1] تعود الصور المرسومة يدويا إلى جدود العام 1827.
[2]محمد الطالبي، **المرجع السابق**، ص 145.
[3] حول توليته شؤون أفريقية ينظر: الطبري، **تاريخ**، ج8، ص33.
[4]الرقيق القيرواني، **المصدر السابق**، ص 82.
[5] علاوة عمارة، **ظهور وانتشار . . .**، ص268.
[6]ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج1، ص 75. النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 130. الناصري، **المصدر السابق**، ج1، ص 130.
[7]الطالبي، الدولة الأغلبية، ص 55.
[8] وصل من مصر الى أفريقية في نحو العام 143هـ/ 760م، وتولى أمرها في نحو العام 148هـ/765م. تقي الدين المقريزي، **المصدر السابق**، ج2، ص227.
[9]ابن الأبار، **المصدر السابق**، ج1، ص 69.
[10] عماد الدين ادريس، **المصدر السابق**، ص178.
[11]**نفسه**، ص105.

جانب علمه[1]، استطاع أن يحكم القيروان وكانت الواحات الجريدية[2] وواحات ما سيعرف في وقت لاحق بالمغرب الأوسط خاضعة لسلطانه أيضا[3].

لما نتحدث عن هذا المشهد بنمطيته العسكرية، فإن ذلك لا ينبغي أن يحجب أمامنا الصورة الاجتماعية. إذ أن وصول القوة العربية تحديدا لبلاد الزَّاب الذي وصف بالجاذبية[4] سيجعل منها ونحن في منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن للميلادي نقطة تركز واستقرار اجتماعي، لكون عدد من هؤلاء الجنود باختلاف رتبتهم ستكون معهم أسرهم. وربما كانت قبائل بأكملها منخرطة في هذا الانجذاب. ما سيجعل من المجال الواحي مركز استقرار لاحتضان عملية الفتح، ولو كان الأمر بدون الرجل الأغلبي القوي أمام إصرار الخلافة على استمرار الوجود ببلاد الزَّاب[5]. ويبدو أن بلاد الزَّاب كانت أهم المجالات الواحية التي استطاعت أن تذيع صداها حتى في أروقة البلاط العباسي لما كانت قد اكتسته من أهمية محورية في بلورة ملمح الاستقرار بعموم المجالات الواحية. إذ وجدنا الخليفة هارون الرشيد (170 – 193ه/ 786 – 808م) وهو يُشّيع رَوح ابن حاتم (ت174هـ/791م) المتّجه عام171ه/ 787 م نحو إفريقية فيوصيه ببلاد الزَّاب أن يملئها خيلا ورَجْلاً[6].

وفي هذا يشير إلى ضرورة وأهمية إحكام السيطرة العسكرية وإعمار المنطقة وتركيز الوجود العربي بها لتصبح جزءا من المنظومة الاجتماعية العربية.

ولعل هذا ما سيسهم في إحداث جملة تطورات وتغيرات ستطال منظومة العادات والتقاليد[7] وعموم الحركية المجتمعية لمجتمع ما بعد الفتح الذي صار يعيش تحت اندماج العناصر العربية والبربرية التي سيتطور مع مرور الوقت، وهو التغير الذي سيكون فيه البربر قد تعودوا على عادات وصفت

---

[1]الرقيق القيرواني، **المصدر السابق**، ص- ص 176-188.

[2] غالبا ما يعنى بها تلك المجالات الواحية الواقعة الى الجنوب من البلاد التونسية. و هي تعد من بين أهم مناطق الحضور الإباضي التي كانت لها بصورة خاصة علاقات مميزة بالواحات المغرب أوسطية. وقد أنجزت الباحثة البلجيكية حولها دراسات قيمة أبرزها: VérginieProvest, **Laqastiya médiévale et toponymie du djérid tunisien**. foliaorientalia,vol 42 – 43, 2006 – 2007, pp 41 – 56. Ibid, **La traversée du chott el-djérid ou moyen age**. revue de L'institut belles Lettres arabes,68 année,2005,pp 125 – 141. Ibid, **Les Innovation de nafta b-Nasr ou Le troisiém schisme chez Les Ibaditesn**, al-qantararevista de studios arabes, csic- madrid, españa VXXXIV, 2013, pp 123 – 151.

[3]أبو بكر محمد بن محمد الهمذاني، **مختصر كتاب البلدان**، دار صادر، لبنان، 1884، ص 79.
ينظر أيضا: ابن وردان، **المصدر السابق**، ص- ص 13-14.

[4]هشام جعيط ، **المرجع السابق**، ص 184.

[5]ابن وردان، **المصدر السابق**، ص 48.

[6]الرقيق القيرواني، **المصدر السابق**، ص 136.

[7]عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، **المرجع السابق**، ص 27.

بكونها أقل خشونة، وعلى تفاعلهم مع الحياة الثقافية التي كانت نتاج تأسيس عدد من المدن الرئيسية كالقيروان[1].

ثانيا ـ الكيانات السياسية المغاربية

1- دولة الأغالبة(184 – 296ه / 800 – 909م)

وهي من أول الكيانات السياسية العربية الناشئة ببلاد المغرب. تأسست كوجه للدولة العباسية. شكّلت أسرة الأغالبة عمودها الفقري لما أظهره أبناؤها الين تصدروا للقيادة من ولاء و كفاءة في ادارة شؤون الحرب والسلم. وقد ظلت متولية الشأن المغربي محتفظة بعلاقات حسن الجوار مع عدد من دول الجوار الى غاية سقوطها على يد الدولة الشيعية الناشئة.

[1] ج مارسييه، **المرجع السابق**، ص 64. يتصل أمر بناءها بما كان عقبة بن نافع قد أنجزه لصالح الاستقرار الجديد. أحمد بن جابر بن يحي البلاذري، **كتاب جمل من أنساب الأشراف**، تح سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1996، ص – ص 266 – 267. وكأنه يحاكي في ذلك ما كان قد أنجزه سعد بن أبي وقاص في تمصيره الكوفة في السنة السابعة عشر للهجرة. أحمد بن يحي بن جابر البغدادي، **كتاب فتوح البلدان**، شركة طبع الكتب العربية، مصر،1901، ص 284.

***ولاية ابراهيم بن الأغلب:** كانت تخضع له بلاد الزاب مذ ولاه اياها الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي وثق فيه وفي ادارته فكان ذلك سبب تكليفه بعموم أفريقية في نحو العام 184ه/800م. وقد عُرف علاوة على كونه من ذوي الرأي أن اشتهر بالفقه واحتراف الأدب ونسج الشعر، كما كان خطيبا مفوها وذو خبرة عسكرية. اجتهد عقب توليه أمر حكم البلاد في تخطيط مدينة القصر القديم على مقربة من القيروان بنحو ثلاثة أميال، واتخذ منها مقر الحكم و موطن الامارة لعموم بني الأغلب عنوانا لسؤددهم في الحكم[1]. حقق ابراهيم العديد من الانجازات على مختلف المستويات كما حقق العديد من الانتصارات. ويبدو أن ابن الأغلب كان قادرا بسلوكه الرشيد في حكم البلاد الأفريقية أن يكسب ود وثقة الأمين بن هارون الرشيد، الذي أقره في ولايته في حدود العام 193ه/809م[2]. واستمر ابن الأغلب في حكمه الذي على ما يبدو وصف بالرشيد الى غاية وفاته في حدود العام 196ه/812م وقد غادر وهو لايزال في عنفوان عطاءه عن عمر ناهز الخامسة و الخمسون سنة قضى منها نحو اثنتي عشرة سنة في سدة الحكم ما بين بلاد الزاب و ولاية أفريقية[3].

***ولاية أبي العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب**: قبل وفاته أمر ابراهيم ولده زيادة الله بأخذ البيعة لأخيه عبد الله الذي كان في غياب بطرابلس الغرب. وقد قدم في العام 197ه/ 813م. وفوق أنه لم يحفظ ود أخيه وجميل صنيعه، فانه قد سار بين الناس أيضا بالسوء لما امتازت به سياسته من خشونة مع العامة واستمر على ذات الحال الى غاية وفاته غير مأسوف عليه من رعيته، حيث كان ذلك في نحو العام 201ه/ 816م وقد مضى من حكمه ما زاد عن الخمس سنوات المتتاليات[4].

***ولاية زيادة الله الأول:** عرف بأنه من بين أعظم من حكموا الدولة الأغلبية ووطدوا أركانها لما عرف به من قوة الشخصية التي سمحت له بالقدرة على القضاء على نزعة الثورة في أوساط الجند. فاستغل استتباب الأمن في اعادة بناء قوة الجيش واتجه لتعزيز الأسطول البحري وقيادته الجهاد البحري في الشمال. واجه أكبر خطر داخلي ممثلا في ثورة منصور بن نصير الطنبذي عام 208ه/ 823م.بطنبذة قريبا من تونس[5]. فكانت مقدمة عديد الثورات التي رسمت صورة أفريقية بحالة من اللا استقرار التي صار معها زيادة الله غير مرغوب فيه أمام تعالي الأصوات الداعية الى رحيله. الا أنه لم يكترث لذلك وراح مطلقا العنان للثوار دوان تتبُّع وشغل نفسه بالاستمرار في

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص92.
[2] نفسه، ج1، ص94.
[3] نفسه، ج1، ص95.
[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص – ص 121.
[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص232. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 124.

تطوير صناعة السفن والتطلع لفتح جنوب ايطاليا معتمدا في ارساء دعائم حكمه باسناد المناصب للعلماء وأصحاب الكفاءة. حتى عد بذلك باني مجد أفريقية[1].وهو ما سيظهر جليا في النعي الذي نعيه عند وفاته أربع عشرة رجب عام 223ه/ 838م بعد أن كان قد مر علىحكمه نحو 21 عاما.فاسحًا المجال لأخيه من بعده.

***ولاية أبوعقال الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب وورثة عرشه:** لميكن أقل قدرا من أخيه الذي سبقه. فقد استهل عهد حكمه بإجزال العطاءلرجال دولتهفي بادرة تحمل معاني الاعتراف بفضلهم ونية الاعتماد عليهم وكفا لهم عن الطمع في الشعب، ومن ثم المحافظة على حالة الاستقرار الاجتماعي[2] الذي كان مسعى على ما يبدو للحاكم الجديد حتى يوطد أركان دولته. وهوما تجلى من خلال ما باشر القيام به من اصلاحات طالت المجتمع في مفاصله الرئيسة[3]. ليواصل بعد هذا الانخراط في مسيرة الفتح التي بدأها سلفه. فكان تحرك الجيش في نحو العام 224ه/839م. متجها نحو الشمال حيث مدن جنوب صقلية وايطاليا. كما واجه بنجاح تحرك بعض الخوارج ضده في جنوب البلاد.

لم يكتب له القدر الاستمرار في الحكم لوفاته في عام 226ه/ 841م.تاركا الحكم لولده أبي العباس محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب الذي ابتدأ عهده جليل القدر بين الناس لما كان يتمتع به من حميد الخصال حتى انتهى به الحال مغضوبا عليهم لما نالهم منه من الشدة و البأس التي أغضبت منه حتى أله بنو الأغلب الذين تآمروا عليه عن طريق أخيه لينتهي به الحال بعد القبض عليه في قصره منفيا الى العراق. أل حكم البلاد لأخيه محمد الأول الذي كان حسن السيرة بين الناس الى وفاته عام 242ه/ 856م. خلفه ابنه أبو ابراهيم أحمد الذي اهتم بتحقيق الانتصارات الخارجية واصلاح الأوضاع الداخلية على حد سواء وتشهد له في ذلك مآثره المعمارية المختلفة. عرفت أيامه بأبهى أيام أفريقية التي كانت الى غاية وفاته بعد سنين سبع من مدة حكمه حيث غادر الى جوار ربه في العام 249ه/863م. ليؤول العرش الى أخيه أبي محمد زيادة الله (الثاني) بن محمد بن الأغلب الذي كان كريما مع رعيته التي لمتنعم به لأكثر من عام اذ وافه قدره في العام 250ه/864م. فكان مآل العرش لابن أخيه أبو الغرانيق محمد (الثاني). و قد عرف عنه لِين

[1] الثعالبي عبد العزيز، تاريخ شمال أفريقا من الفتح الاسلامي الى نهاية الدولة الأغلبية، تح أحمد بن ميلاد و محمد ادريس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1990، ص 227.
[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص 350.
[3] الثعالبي، المرجع السابق، ص 228.

الجانب و طيب السريرة وشدة البأس بخاصة ضد البيزنطيين الطامعين في سواحل جنوب المدن الايطالية. استمر في الحكم لعشر سنين حتى وفاته وهو في دوام العطاء عام 261ه/875م.

***ولاية ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب (ابراهيم الثاني):** اغتصب الحكم من ابن أخيه الذي أنبه عن ولده لصغر سنه زمن وفاته. تميَّز أول عهد حكمه كما سابقيهبالإصلاح واقامة العمرانفبنى وشيَّد. ليواجه بعده عديد المصائب كالإضرابات الداخلية وعدوان العباس بن أحمد بن طولون عام 267ه/880م الى جانب أطماع البيزنطيين في صقلية وجنوب ايطاليا اضافة للوضع الاجتماعي المحلي المرتبط بأزمة النقد في القيروان وما رافقها من اعتراض مجتمعي ميَّزه اضطراب الأسواق الداخلية. وساءت سيرته مع تعاظم مظالمه بين الناس. فآثر الابتعاد عن المشهد السياسي والانكفاء في قصره الذي كان له في ايطاليا وقد غادر أفريقية ليغادر معها الحياة في العام 290ه/903م. تولى حكم البلاد التي صارت على شفير حالة الاضطراب ولد أبو العباس الذي حاول تدارك ما يمكن اصلاحه مبتدرا مواجهة الأفكار الباطنية التي صار لها حضور بغرب أفريقية و لقي بحسن سيرته رضى العامة من الناس. الا أن مشيئة الأقدار كانت أسرع اليه ليقتل غيلة من حرسه في العام 290ه/903م. فكان مآل الحكم لولده زيادة الله (الثالث) الذي جعل من مواجهة الفكر الباطني المتزايد في الانتشار ببلاد المغرب قضية أساسية نصب عينيه.

لكن ارادة الأقدار سوف لن يكون لها من مشيئة غير أن تكون نهايته على يد الدعوة التي تحولت الى دولة واستقامت الدولة الشيعية التي أنهت حكم الأغالبة ببلاد المغرب في العام 296ه/909م.

2- الدولة الرستمية(140 – 296ه / 757 – 909م)

أولا: نـــافـذة عن الابـــاضية

أ – لمـحة عن الابـاضية: يجد الباحث نفسه أثناء دراسته الاباضية أمام اختلافات قد تكون عميقة في بعض جوانبها، خاصة ما اتصل منها بمنشأ الاباضية كمذهب لفرقة ذات فكر. ومـدار تلك الاختلافات حـول حقيقة الاباضية، وارتباطهم بالخـــوارج.

عقب مقتل الخليفة عثمان في العام 18 هـ[1] / 639م، تعالت الأصوات المنادية بضرورة الكشف عن الجُنات وأخذ القصاص الشرعي. وهذا ما قاد إلى موقعة الجمل (10 جمادى الثانية سنة 36هـ/656م)، على خلفية تباين المواقف حول كيفية التعامل مع قضية مقتل عثمان عنه بين كل من علي بن أبي طالب كإمام خليفة(40-35هـ/650-660م)، وعائشة وطلحة(ت36هـ/656م)

[1] ابن الأثير: المصدر السابق، ج 3، ص 90.

والزبير(ت36هـ/656م) كمرجعية افتكّت الأحقية في تحمل جانب كبير من المسؤولية عن دم عثمان[1].

باشر بعدها الإمام علي التوجه نحو بلاد الشام،أين واعده القدر لملاقاة الإصرار والعناد على التحدي الذي امتطى صهوته معاوية ابن أبي سفيان(60-41هـ/661-679م) بادعائه الاستئناس بالرابطة الأسرية في الأحقية بالثأر من قتلة عثمان. كان ذلك من وراء عصيانه الأوامر. مع فشل مساعي التفاوض وانسداد أفق الحوار، نطقت السيوف، واشتبكت الرماح، لما نظر أنها الصلاح، ومنتهى الفلاح، فاشتد الصياح، حتى نادى عمرو بن العاص بما حقق فيه بدهائه لمن خلفه النجاح، وانجلت المعركة عن تلك البراح. فقد كان خاطبه معاوية (60-41هـ/661-679م) وهو يتوجّس في نفسه من الهزيمة"هل لك أن، تدع القوم دعوة إن أعطوها افترقوا وأن منعوها منا افترقوا ولا تزيدنا إلا اجتماعا ولا تزيدهم إلا فرقة وشتاتا"[2].

فأشار عليه برفع المصاحف على أسنة السيوف إعلانا على تحكيم كتاب الله، ليوقف معه القتال. إلا أن الأمة اختلفت وتفرَّقت كلمتها. وانقسم أنصار الإمام علي بين من طمأنه بتوقّف القتال، وبين من كان يرى ضرورة الحسم، وكان هذا أيضا من رأي الإمام علي نفسه، إلا أنه أجبر على العدول عنه[3]. إن هاته القوة الضاغطة ستتحول في موقفها باتجاه مؤثر على الإمام علي الذي يكون قد عبّر عن امتعاضه من دون القدرة على معاكسة التيار الذي يبدو تمثيله لشريحة اجتماعية لا يمكن تجاهل موقفها أو الإقلال من تأثيرها. وعند اللقاء احتج كل فريق بما يدعم موقفه إما حقنا لدماء المسلمين، أو قتالا حتى يذعن معاوية لخلافة علي، ومع التطورات التي انتهت بقبول علي أمر التحكيم، وعودته إلى مستقَرّه بالكوفة ليواجه أعظم تصدع داخلي ستكون له تأثيراته البالغة على مجريات الأحداث على أكثر من صعيد، إذ عبرت المجموعة الرافضة التحكيم عن موقفها بتجمعها في ظاهر مدينة الكوفة عند موضع حروراء، وجاهروا بعدم اعترافهم بسلطان الإمام علي عليهم، ليعرفوا مذ ذاك بالحرورية[4]، مشكّلين أكبر خروج كلي عن سلطة الإمام.

ويذكر ابن الأثير أنه أثناء الاتفاق على التحكيم جاء رجلان إلى علي بن أبي طالب وقالا له(لا حكم إلا حكم الله)، فردّدها علي، ثم خاطبه احدهما بقوله "تب من خطيئتك، وارجع عن قصتك، وأخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا"، فوجهه الإمام علي إلى ما كان منهم ابتداء الأمر" ،

---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق، ج 3، ص 105. أبو محمد بن عبد الله بن مسلم الدينوري (ابن قتيبة):الإمامة و السياسة، دار المعرفة،لبنان،(د،ط،ت)، ص- ص 57-85.

[2] ابن الأثير: المصدر السابق، ج 3، ص 107.

[3] مصطفى بن محمد بن إدريسو، الفكر العقدي عند الاباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، جمعية التراث (غرداية)، الجزائر، ط 1، 2003، ص 41.

[4] ابن الأثير: المصدر السابق، ج 5، ص 166.

ما هذا ذنب ولكن عجز عن الرأي وقد نهيتكم "، فخاطبه الآخر منهما "يا علي، لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقتلنّك، أطلب وجه الله "، فجاء رد الإمام علي "الله أكبر، كلمة أريد بها باطل، إن سكتوا غممناهم، وإن تكلموا حججناهم، وإن خرجوا علينا قاتلناهم "، فتسمّت هذه الفرقة بالخوارج[1] بما كان لخروجها عن سلطان الإمام علي ورأيه،حتى بلغ من أمرهم أن أمّروا عليهم عبد الله بن وهب الراسي(ت38هـ/658م) الذي بُويع في 10 شوال عام 37 هـ/657[2].

الإمام علي، وأمام بداية استفحال أمر الخوارج الذين تحركوا نحو النهروان،وطالبوا غيرهم للالتحاق بهم، واستشعر ما قد يشكلونه من تهديد لكيان الخلافة واستقرار الأمة. فقرر منازلتهم يوم النهر وان الذي صوّره ابن قتيبة بقوله"ونهض علي في القلب بالسيوف والرماح، فلا والله ما لبثوا فراقا حتى صرعهم، كأنما قال لهم موتوا فماتوا "[3]. ولم يبق عقب المعركة من المحكّمَة و بالحَرُورية إلا أن من كان خير شاهد لها، ممن سيشكلون نواة تؤمن استمرار الفكر الخارجي الذي تبلور مع حدوث تحولات عميقة كان وراءها تعدد المسالك الخارجية التي تباينت فيما بينها، بحسب نظرتها للواقع وطرائق تعاملها مع الأحداث، وتناولها لمختلف مستجدات الحياة خاصة في شقّها السياسي.

وكان من تلك التيارات الخارجية، الفرقة الاباضية[4]، التي"يذهب بعضهم إلى أن هذه التسمية لم تكن من الاباضية أنفسهم، بل جاءت من المخالفين، وهم الأمويين الذين أدخلوا الاباضية في فرق الخوارج، غير أن الاباضية لم يقبلوا هذه التسمية في بداية الأمر، ولكنهم قبلوها في خلافة عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه(ت 101 هـ/719م) ، وبدأ اسم الاباضية يظهر في كتاباتهم فيما بعد"[5].

وقد يكون هذا الرأي قابلا للتعامل معه وفق السياق الذي تناوله، ونأخذ به على ما ورد فيه.

ب – ابتـــداء أمر ابن أبـــاض: يذكر أن أول ظهور للإباضية كان بالبصرة، عقب انقسام المحَكّمة عام 65هـ/685م على خلفية حثّ نافع بن الأزرق أتباعه من الخوارج على قتال مخالفيهم في رسالته التي كتب بها إلى زعمائهم الذين كان منهم عبد الله بن اباض الذي إليه نسبت هاته الفرقة

---

[1] ينظر، ألبير نصري نادر، أهم الفرق الإسلامية السياسية و الكلامية،المطبعة الكاثوليكية،لبنان،ط2، 1966،ص-ص9-13. علي محمد الصلابي، فكرة الخوارج و الشيعة في ميزان أهل السنة و الجماعة،مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، مصر،ط1، 2005،ص- ص12-90. دائرة المعارف الإسلامية،ج4،ص- ص469-477.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص، ص 169-170. ا بن خلدون: تاريخ، ج 1، - ص- ص 637-647. عبد العزيز فيلالي، المظاهر الكبرى لعصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس،دار المعارف للطباعة والنشر، تونس،1991.

[3] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج 1، ص 152.

[4] للمزيد حول نشأتها ينظر، أحمد الشيخ بالحاج، الظروف السياسية لنشأة الفرقة الاباضية،الجمعية الثقافية نجم الدين الإسلامي،الجزائر،1998.

[5] مجلة دراسات، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، مجلد 27، ع 2، نوفمبر 2000.

بعد عدم رده على الرسالة السالفة الذكر"فالمذهب الاباضي ينسب إلى عبد الله بن اباض... وهو تابعي...غير أن الإباضيّين يفضلون نسبة مذهبهم إلى جابر ابن زيد الأزدي...ويقولون **أن** خصومهم الذين فرضوا عليهم هذه التسمية، أي الاباضية، بدلا عن الجابرية "[1].

وأمام هذا يطرح الاعتقاد أن ذلك إنما كان " قصد إخفاء الإمام الحقيقي، قصد اتقاء سطوة الجبابرة من ملوك بني أمية...فنحن نرى أن ابن اباض هو الإمام الفعلي للمذهب منذ نشأته "[2].وقد تضمّن رد ابن اباض في رسالته انتقادا لابن الأزرق بما يقال فيه "قاتله الله، أيّ رأي، صدق نافع لو كان القوم مشركين، كان أصوب الناس رأيا وكانت سيرته كسيرة النبي في المشركين، ولكن كذب فيما يقوله. أن القوم براء من الشرك، ولكنهم كفار بالنعم والأحكام ولا يحل لنا إلا دمائهم، وما سوى ذلك فهو حرام علينا "[3]. وهذا ما كان وراء نعت ابن أباض ومن وافقه على رأيه بالقعدة، أي الذين لم يقوموا مع ابن الأزرق، ومع ذلك "فان بعض المصادر تدعي بأنه في هذه الفترة التي تزعم فيها ابن أباض حركة المعارضة ضد متطرفي الخوارج، تكوّنت الفرقة الاباضية ونسبت تكوينها إلى ابن أباض نفسه، واعتبرته رئيس الفرقة ومؤسسها "[4]. إن ما هو أقرب إلى ما قد يكون واقعا تاريخيا، فإنه لا ينكر لابن أباض دوره في التأسيس للمذهب الذي عرف أهله بالاعتدال، ويمكن القول أن إمامهم الأول هو أبو بلال مرداس بن حدير، والمؤسس الفعلي للمذهب هو جابر بن زيد، بينما عبد الله بن أباض يمكن اعتباره صاحب الزعامة السياسية. أما أبو عَبيدَة مسلم بن أبي كريمة فهو مُخطّط مسارات الفكر الاباضي[5].

وما يؤكده ابن الصغير، مؤرخ الدولة الرستمية الاباضية ببلاد المغرب الأوسط، هو أن الاباضية وإن كان ظهورها ارتبط بحركة الخوارج، إلا أنها انشقت عنها أمام ظهور الغلو والتطرف فيها، فكان أن استقلت منفصلة بذاتها منذ بداية النصف الثاني من القرن الأول الهجري[6].

واستنادا لهذا الرأي، فإن الاباضية يكاد يجمعوا على أنهم ليسوا من الخوارج، وإنما كان الاتفاق معهم فقط في مسألة التحكيم لا غير. كما أنهم يحبون أن ينسبوا لجابر بن زيد الذي يعلن براءته منهم كلما قيل له أن الاباضية يزعمون أنك منهم، فيقول أبرأ إلى الله منهم[7].

وأمام هذا الموقف تمثل أمامنا جملة حقائق يمكن إيجازها فيما هو آت :

---

[1] عمر بن الحاج محمد صالح با (عمر با)، دراسات في الفكر الاباضي (د ط، ت)، ص 26.
[2] عمر الحاج، المرجع السابق، ص 30.
[3] الطبري، تاريخ، ج 5، ص 558.
[4] خليفات محمد عوض، نشأة الحركة الاباضية، الجامعة الأردنية، الأردن، ط 1، 1978، ص 79.
[5] محمد صالح ناصر، منهج الدعوة عند الاباضية، جمعية التراث (غرداية)، الجزائر، ط 2، 1999، ص 25.
[6] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 25.
[7] حجازي عثمان، تطور الفكر الاباضي في شمال إفريقيا،المكتبة العصرية، لبنان، ط 1، 2000،ص- ص16-20 .

ـ أن الاباضية ربّما وفي محاولة منهم للاحتفاظ بصورة حسنة في الأوساط الإسلامية، حرصوا على نفي صفة الخارجية عنهم، وبرروا ما حدث من وصال مع الخوارج كونه جاء عرضا لالتقاء المصالح خلال مرحلة تاريخية ملزمة بوقائعها لتحقيق ذلك.

ينتسب الاباضية لجابر بن زيد، لما كان يمثله من شخصية علمية ذائعة الصيت، باعتباره احد تلامذة عبد الله بن عباس الذي كان يقول فيه: "اسألوا جابر بن زيد، فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه "[1].

ـ إن براءة جابر بن زيد من إمامته للإباضية، ربما قد تفسّر بما كان معتمدا من الحيطة و الحذر.

نجدها تجمع على نسبتهم للخوارج، إذ يذكر البغدادي أن الخوارج يتفرقون إلى نحو عشرين فرقة عد الاباضية واحدة منها[2]. كما أورد الشهرستاني في فصل الخوارج أهم فرقهم وذكر منهم الاباضية[3]. وعلى ذات النهج درج ابن حزم[4]. ولربما استمر ذات المنحى مع الكتابات القريبة من هاته المصادر. ولو جاز لنا تفسير ذلك لكان القول فيه بحصول خلاف حول معنى وسيرة الخوارج بين كونها خروج عن الطاعة أو خروج في الطاعة تلبية لنداء الجهاد.إذ لا يمكن استبعاد ذلك خاصة مع تداول مصطلح الشراة في القاموس الاباضي والذي يعنون به " أنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة "[5]. وقد حاول أحد مؤرخي الاباضية المحدثين انتقاد تلك الآراء وإبعاد الانتماء الخارجي عن الاباضية[6]، كما اتخذ البعض الآخر على حبل الوصال الاباضي مع الخوارج، مع محاولة إنصافهم بما نعتوا به كونهم الأكثر اعتدالا والأقرب لأهل السنة والجماعة، وهو ما كان محل تساؤل حول التساهل الاباضي بين كونه وليد الضعف الذي جره تتالي الحروب التي جرت معهم دون طائل،أو للقدرة على التعايش مع الآخر ببساطة التفكير وعدم التعمق فيه كما هو مرتبط بطبيعة بيئة المنشأ[7].

ومقابل هذا الرأي يعترضنا العلامة الاباضي العماني السالمي معتدا بابن أباض ومذهبه الذي أكد نسبته إليه " فيستدل من هذا البيان أن مذهب الاباضية نسبة إلى الإمام عبد الله بن اباض رضي الله

---

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ج 2، ص 12. أنظر أيضا عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الاباضية ، الجامعة الأردنية، الأردن، (د،ط،ت)، ص 07.

[2] عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، دار المعرفة، لبنان، ط 2، ص 78.

[3] أبو الفتوح محمد الشهرستاني، الملل و النحل، دار المعرفة، لبنان، ط 2، 1975، ص 115.

[4] أبو محمد علي بن محمد بن حزم، الفصل في الملل و الأهواء و النحل، دار المعرفة، لبنان، (د.ط)، 1983، ج 4، ص- ص 188- 189.

[5] ابن جميع، المصدر السابق، ص 54.

[6] علي يحي معمر، الاباضية بين الفرق الإسلامية، جمعية التراث (غرداية)، الجزائر، ط 3، 2003، ص- ص 10- 68 .

[7] علي مصطفى الغوابي، تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، مصر، (د. ط)، ص 281.

تعالى عنه وعنا وعن جميع من صلح من الأيمة الطاهرين الأخيار، وهو أقدم المذاهب تاريخيا، وأوثقها مصدرا، ,وأصحها تأويلا.. وعلى ذلك فليس ثمة مراء في أنه هو الطريق الحق.. وأن أصحابه العاملين فيه هم المؤمنون حقا أهل الفرقة الناجية "[1].

يعتمد المذهب الاباضي مسند جامع الربيع بن حبيب (75- 170هـ/694-786م) كأهم مصادر الحديث النبوي لما يرون أنه "أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى "[2]. كما يعتمدون تفاسير هود بن محكم الهواري (حي بين 208-258هـ/823-871م) وأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (ت570هـ/1175م) الذي يعد أيضا مرجعا فقهيا من خلال كتابه العدل و الإنصاف[3].

ثانيا: الابـاضيـة ببلاد الـمـغرب الإسـلامي

أ ـ رحلـة الانتقـال والتوسع: ما ترويه المصادر الاباضية منها تحديدا، أن سلمه بن سعيد أول داع للمذهب وصل بلاد المغرب التي علق عليها أمل نشر المذهب ولو ليوم واحد، لا يأسفإن ضُربت عنقه بعدها[4]. ومرجح أن هذا قد تحقق ما بين نهاية القرن الأول الهجري/السابع الميلادي وبداية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي[5].

وهو ما كان وراء النجاح في إعلان أول محاولة لإيجاد كيان سياسي قائم على أبجديات المذهب. حيث كان " أول من ظهر بالمغرب أبو الخطاب، وهو عبد الأعلى بن السمح المعافري.. وإنما ولي أبو الخطاب سنة أربعين ومائة بالمغرب"[6]، ليتولد رد فعل السلطة القائمة خلال سنة 142 هـ/759م حيث "وجه أبو عون وهو والي مصر، العوام بن عبد العزيز البجلي في ألف فارس، فوجه إليه أبو الخطاب الاباضي واسمه عبد الملك بن السمح مولى معافر بن سميران فالتقوا بطرابلس فهزم العوام "[7]. وفي وقت لاحق، بعث عبد الرحمان بن حبيب الفهري(127-129هـ/745-747م) أخاه عاملا على طرابلس" فأخذ عبد الله مسعود التجيبي، وكان اباضيا ورئيسا فيهم،فضرب عنقه. واجتمعت الاباضية باطرابلس...و كان على الاباضية حيث اجتمع عبد الجبار بن قيس المرادي ومعه الحارث بن تليد الحضرمي "[8]. ومع انعدام الاستقرار في العلاقة

---

[1] نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، اللمعة المرضية من أشعة الاباضية، موقع إلكتروني www.istiqama.net، ص 281.
[2] السالمي، المصدرالسابق، ص 11.
[3] المصدر نفسه، ص 11 وما يليها .
[4] الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص، ص 11- 12 . أبو زكريا، المصدر السابق(العربي)، ص- ص 25-26 .
[5] محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص، ص 36- 39 .
[6] ابن سلام، المصدر السابق، ص 139.
[7] ابن خياط: المصدر السابق، ص 339.
[8] ابن عبد الحكم: المصدر السابق، 372.

اختار الاباضية زمن عامل هارون الرشيد(193-170هـ/786-808م) على إفريقية روح بن حاتم(ت174هـ/791م) انتهاج ما رأوا فيه تحقيقا لسلامة كيانهم. حيث امتاز عهد روح بأن كانت " البلاد آمنة، والقبائل هاونة، وملئ منه البربر رعبا، ورغب الإباضيون منهم في موادعته إلى أن توفي في إحدى عشر ليلة خلت من رمضان عام أربعة وسبعين ومائة "[1].

إن استمرار انتشار المذهب ببلاد المغرب الإسلامي، إنما كان تتويجا لجهود " حملة العلم المغاربة الذين جاءوا إلى البصرة في نحو عام 135 هـ، وبقوا خمس سنوات يأخذون العلم وأصول المذهب الاباضي عن إمام الاباضية الأكبر أبي عبيدة التميمي "[2]، حيث قام هؤلاء الحملة للعلم بنشر تعاليم المذهب متفرقين عبر مختلف الأصقاع والبقاع لتأكيد وجودهم ببلاد المغرب التي لم تكن تمثل فقط مناخا ملائما يحقق "نشر المذهب فحسب، ولكن لجئوا إلى المغرب فرارا من الحرب التي شنتها عليهم الدولة، والتي شنُّوها على الدولة.. فكان على هؤلاء المتمردين أن يطوقوا الدولة من الخارج"[3]. وقد تأكد انتشار الفكر الاباضي بعموم بلاد المغرب اعتبارا من جبل نفوسة الذي أصبح على ما يبدو بمثابة القاعدة المركزية ودار هجرة للمذهب الاباضي التي منها انطلقت الجموع تبث فكر المذهب في أقاصي الأرض وأدانيها. فالجبل حسب ابن حوقل كان لمعشر الاباضية " بأجمعه دار هجرتهم على قديم الأيام لهم، وبه معشر الاباضية والوهبية.. وقد أقام من خلفهم على منهاج سلفهم به وبما قاربه من مدن الخوارج "[4]، وفي موضع لاحق يواصل ابن حوقل على وجود الاباضية بالجبل مع ما يلاحظ عليه من التباس قد يكون مرده عدم التدقيق في المعرفة بالإباضية من الداخل، وفي ذلك يذكر أن"أهل جبل نفوسة فشراه، إما إباضية من أصحاب عبد الله بن أباض أو وهبية من أصحاب عبد الله بن وهب "[5].

وربماكان عبد الله بن وهب الراسبي أحد أعمدة المذهب، ومثلهم في أيضا " أهل قسطيلية وقفصة ونفطة والحامة، وسماطة"[6].

وفي حديثه عن جزيرة زيزو المتصلة بجربة، أشار الإدريسي إلى أن أهلها"قوم نكار خوارج في الإسلام، مذهبهم الوهبية "[7]، كما أشار من جهته البكري إلى مدن بنْطيُوس الثلاث وجعل "الثالثة لقوم من الخوارج يعرفون بالواصلية، إباضية "[1].

---

[1] لسان الدين الخطيب: المصدر السابق، ج 2، ص 295 .
[2] خليفات: الأصول التاريخية، ص- ص 40- 41 .
[3] غلاب: المرجع السابق، ص 175.
[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 92.
[5] المصدر نفسه، ص، ص 93 – 94.
[6] المصدر نفسه، ص، ص 93 – 94.
[7] الإدريسي، كتاب نزهة، ص 207.

وبالوصول لبلاد المغرب الأوسط تظهر أمامنا تاهرت" وهي مدينة كبيرة، خصبة واسعة البرية والزرع والمياه، وبها الاباضية وهم الغالبون عليها "[2]. ويصفهم لاحقا بتحديده ما بين طنجة وإفريقية بقوله "وبينهم وبين إفريقية تاهرت الشُراة وهم الغالبون عليها "[3].

ب- تأسيس الدولة:

في ظل الصراع الذي كان قائما بين أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري باعتباره متوليا إمارة المسلمين وبين ابن الأشعث الخزاعي والي مصر باسم العباسيين والتي كانت طرابلس رحاها كانت بذلك قد تشكلت نواة الانطلاقة نحو التأسيس[4]. اذ نجد أن عبد الرحمان بن رستم والي القيروان خلال العام 140هـ/757م. وأمام فشل محاولته دعم أبي الخطاب واضراب الوضع العام خاصة بالقيروان. اضطر الى الهروب بنفسه نحو المغرب الأوسط[5]. ولابد أن هذا الخيار كان مبنيا على سابق معرفة وتواصل بالمنطقة ولابد أنه ظن أنه سيجد الحمية التي تأمّن له السلامة والنجاة.

فقد غادر عبد الرحمان معية ابه عبد الوهاب يصحبهما الخوف الذي ظل يطاردهما الى أن وصلا مأمنهما عند جبل سوفجج الذي اتسم بالمناعة فكان حصنا لهم، و أخذت جموع الاباضية تفد اليهما فيه بعد أن تسامعوا بنجاتهما و بالنظر لما كان ابن رستم بمثله من رمزية باعتباره أحد أبرز حملة العلم. و كان من الطبيعي أن يكون لابن الأشعث موقفه المناسب ازاء هذا الوضع الذي تراجع أمامه بسبب ما أصاب المنطقة بسبب نفشي وباء الجدري[6].

ومع رجوع ابن الأشعث أدراجه، تنبه ابن رستم الى أهمية أن تكون له الحماية القبلية وما يصحبها من دعم وإسناد. فاستغل سابق حلفه مع قبلية لماية التي كانت من بين الجماعات القبلية المغرب أوسطية ونزل عندهم[7].وهوما أثمر بعد حالة التوافق الى اختيار موضع تيهرت لتكون مكان السلطة المزمع اقامتها بالنظر لما اتصفت به من مواصفات البعد عن الخطر العباسي والقرب من

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 254.
[2] الإصطخري، المصدر السابق، ص 34.
[3] المصدر نفسه، ص 37.
[4] ابراهيم بحاز بكير، الدولة الرستمية 160 - 269 هـ/ 777 – 909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لافوميك، الجزائر، ط1، 1987، ص97
[5] ابن خلدون عبد الرحمان،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط4، 2000، ج6، ص147..
[6] أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، كتاب سير الأيمة وأخبارهم، تح اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1979، ص47.
[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص147.

الجماعات المتمذهبة بالإباضية الى جانب استراتيجية الموقع وما امتاز به من ثراء اقتصادي وتوسط بين المناطق التلية والصحراوية وما أكسبها من أهمية تجارية[1].

وانطلاقا من هاته الاعتبارات تم الشروع في عملية التخطيط والبناءلتيهرت المدينة الجديدة اعتبارا من العام 161هـ/777م، اذ أقيم المسجد الجامع ليتبعه اقامة عدد من الدور والبيوت والقصور والأسواق[2]. ويشهد لابن رستم مباشرته عملية البناء بنفسه ليعطي لغيره القدوة في مباشرة العمل من أجل تحقيق الوصول للهدف المنشود في أقل وقت ممكن.

ومع استمرار عملية البناء و التشييد، كان لابد من التفكير في من يتولى شأن أهل المدينة التي تنتظر رؤيا النور قريبا. فانتهى الأمر بعد تشاور الى اختيار عبد الرحمان ابن رستم ليكون رجل المرحلة لجملة اعتبارات أشار اليها الدرجيني، كون ابن رستم أحدحملة العلم الخمسة المشهود لهم بالعلم. وما شغله من منصب القضاء في زمن ابي الخطاب. الى جانب الاعتبار القبلي الذي من شأنه أن يجعل منه بمنأى عن الميل لأي قبيلة كونه نزيل البلاد وليس أصيلا بها[3].فبويع لهذه الاعتبارات بالإمامة في نحو العام 162هـ/778م[4].

بعدها باشر الامام ابن رستم توطيد أركان الحكم بإمارته لمجابهة ما قد يعترضها على المستويين الداخلي والخارجي[5]، وكان لزاما عليه العمل على عدم اغفال أهمية تحقيق التوازن السياسي منه خاصة مع بقية الكيانات السياسية لتحقيق حالة من الاستقرار بعموم المنطقة[6] والذي كان مفيدا على وجه الخصوص لإمارته الناشئة التي استمرت على ذلك الى غاية وفاته في نحو العام 198هـ/784م[7]. وقد خلفه في الحكم من أسرته كلا من: ولده عبد الوهاب (168 – 208هـ / 784 – 817م)، أفلح بن عبد الوهاب(208 – 258هـ / 817 – 871م)، أبو بكر بن أفلح(258هـ / 871م)، أبو اليقظان محمد بن أفلح(258 – 281هـ / 871 – 894م)، أبو حاتم يوسف بن محمد(281 – 284هـ / 894 – 897م)، و كان آخرهم أبوحاتم بن أبي اليقظان الي حكم نحو ست

---

[1] محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، دار القلم، مصر، ط3، 1987، ص، ص 95، 96.

[2] الشماخي أبو العباس أحمد بن سعيد، كتاب السير، دار الأبحاث، تلمسان، الجزائر، ط1، 2001، ص139.

[3] الدرجيني، المصدر السابق، ج1،ص42.

[4] محمود اسماعيل عبد الرازق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتص القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط3، 1985، ص151.

[5] نفسه، ص 151.

[6] الحريري، المرجع السابق، ص، ص 107، 108.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 194.

أعوام انتهت بمقتله عام 296ه/909م، ثم خلفه الذي لم يقدر له أن يستطيب الحكم، اذ قتل على يد أصحاب الدعوة الشيعية في شوال من نفس العام 296ه/909م[1].

مثَّلت تاهرت معْبرا للفكر الاباضي نحو الأندلس التي وصفها المسعودي بالأرض الكبيرة وربط انتشار المذهب الاباضي فيها بما كان من وجهة "ميمون بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم الفارسي، وهو اباضي المذهب، وهو الذي أنشأ في ذلك البلد مذهب الخوارج "[2]. وحسب ما هو مشار إليه عرفت "الأندلس مذاهب الخوارج. وقد كشف ابن القوطية وصاحب كتاب أخبار مجموعة، عن وجودهم، وقد ظل مذهب الاباضية... موجودا في الأندلس من تلك العدوة، ويظهر أن جزيرة اليابسة التي هي من الأندلس كانت كلها إباضية إلى القرن السادس الهجري، وقد أشار ابن حزم إلى وجودهم في عهده "[3].

إن وارجلان التي هي أحد أهم مرتكزات الحواضر الاباضية الكبرى وحاضرة المذهب ورأسه خاصة بعد سقوط الدولة الرستمية. إذ أشارت معظم الروايات إلى ارتباط وارجلان الوثيق بالإباضية واعتماده المذهب الرسمي الذي استطاعت من خلاله تأكيد نوع من السلطة الدينية أخضع لها المجال الجغرافي الذي كانت تمثله وارجلان، وهو ما من شأنه إبراز ما كان يستجمعه المكان من روافد تأكيد الكيان السياسي وامتيازه بميوله المذهبية الخاصة دون غيرها من الحواضر التي كان يغلب عليها مذاهب مخالفة.

فأهل وارجلان حسب المقريزي كانوا "قبائل أغنياء وتجار يتجولون في بلاد السودان ويجلبون التبر ويضربونه في بلادهم وهم خوارج إباضية "[4]، وهو نفس ما يؤكده صاحب نزهة المشتاق مع ملاحظة ما أشرنا إليه سلفا من عدم التميز بين الفئات المرتبطة بفرق الاباضية، فقد أشار إلى أن أهل وارجلان "هم وهبية إباضية نكار خوارج في دين الإسلام "[5].

وبجوار وارجلان المدينة كانت بلاد سدراته التي ذكرها صاحب غصن البان على أنها " بلاد كثيرة يسكنها معتنقوا المذهب الاباضي قديما، ولم يخرجوا عنها إلا بعدما خربها يحي بن إسحاق الجبورتي"[6]، وبها ارتبط الاحتمال بنسبة عاصم السدراتي(ت141هـ/758م) أحد حملة العلم

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص197.
[2] المسعودي، المصدر السابق، ج 1، ص 176.
[3] جودت، العلاقات، 189.
[4] المقريزي، المصدر السابق، ص 73 .
[5] الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق، مجلد 1، ص 296 . القارة، ص 197. المغرب العربي، ص 160.
[6] أعزام، المرجع السابق، ص15.

الخمسة إليها الذي قد يكون " سافر إلى جنوب المغرب الأوسط لنشر المذهب بين قبائل سدراته التي ينتسب إليها "[1]. وسواء ثبت هذا الرأي أو انتفى، فإن ما هو أقرب لشبه المؤكد أنه بحلول القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي،كانت وارجلان تمثل " مركزا هاما من مراكز الاباضية في المغرب الأوسط "[2]، ولعل ذلك ما تأكد فعلا بصورة واقعية عقب سقوط الدولة الرستمية، حيث ظهر أن "سقوط هذه الدولة لا يعني سقوط المذهب الخارجي في بلاد المغرب، فقد استمر وجود المذهب هناك حتى بعد سقوط تلك الدولة"[3]، والواضح أن وارجلان ربما تكون قد مثلت الوريث الشرعي للتركة المذهبية للرستميين لما كانت تمثله كونها حاضرة إباضية رئيسية حتى زمن قيام الدولة. وبجوارها ناحية الشمال، كانت تقرت(أحد الحواضر من وادي ريغ أوأريغ) على ذات التوجه المذهبي وفق ما أشار إليه ابن خلدون الذي ذكر أن " في أهل تلك الأمصار من مذاهب الخوارج وفرقهم كثيرا، وأكثرهم على دين العزابة، منهم النكارية، أقاموا على انتحال هذه الخارجية لبعدهم عن منال الأحكام "[4]. وإن كان واضحا وجود بعض الالتباس في الرؤية الخلدونية، إلا أنها تعمق التأكيد باتساع انتشار المذهب الاباضي حتى لعموم المناطق ذات الصلة بوارجلان والقريبة منها جغرافيا والممتدة شمالا ناحية الشرق حتى أوراس الذي كان "على رأي الخوارج الاباضية "[5]، أين سيقوم بين الجهتين تعاون زمن ثورة أبي يزيد الآتي تفصيلها.

ويتصل الحديث عن ذلك بباغيةنحو أوراس جهة الشرق، والتي كانت تسكنها" قبائل مزاتةوضريسة وكلهم إباضية "[6]. إن امتداد الفكر الاباضي لم يتوقف عن حدود وارجلان الحاضرة الصحراوية، ولم تقف الصحراء حاجزا في وجه هذا الامتداد، بل على الخلاف من ذلك شكلت الصحراء وما كانت عليه من حركة القوافل التجارية فرصة قام من خلالها"الإباضيون بجهود مشكورة في نشر الإسلام في أماكن كثيرة وكان لهم فضل كبير في هذا الشأن في كل من إفريقيا الشرقية وإفريقية السوداء جنوب الصحراء "[7].

الذي أكد ذلك ما أورده الشماخي من " رواية تدل على اعتناق أحد ملوك زغاوة الإسلام على يد أحد مشايخ نفوسة. وقد أخذ ليفتكسي بهذه الرواية و ماسكراي (masqaray) الذي أكد أن الإسلام

---

[1] مزهودي، المرجع السابق، ص 32.
[2] المرجع نفسه، ص 27 .
[3] العبادي، المرجع السابق، ص 48 . الصلابي، دولة الموحدين، ص27.
[4] ابن خلدون، تاريخ، ج 7، ص 58 .
[5] البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 328 .
[6] البكري، المصدر نفسه، ج 2، ص 329 .
[7] خليفات، الأصول التاريخية، ص 52 .

وصل حتى بلاد غانة عن طريق التجار الاباضية من رعايا الدولة الرستمية "[1]. وليس هذا بمستبعد في ظل ما أشار إليه ابن بطوطة بوجود قرية زاغري التي كانت " قرية كبيرة، يسكنها تجار السودان...ويسكن معهم جماعة من البيضان، يذهبون مذهب الاباضية من الخوارج، ويسمون صنغنغو"[2].

وقد أشار بحاز إلى استمرار الوجود الاباضي وبقائه ببلاد السودان، مستندا في ذلك لما "أثبته الأستاذ شاخت الذي لاحظ في مساجد بعض تلك الأقوام وجود هندسات مشابهة تماما لما عند إباضية وادي ميزاب و وارجلان كالمحراب المستطيل الشكل والمئذنة ذات الشكل المستطيل المخروطي إضافة إلى ظاهرة فريدة عند الاباضية... عدم وجود المنبر في المسجد "[3].

من غير شك أن وجود مثل هاته الهندسات وحتى القرى وبعض الأعراف المسجدية، لهو تأكيد لا يحتاج لتوضيح مدى الدور الذي قام به خاصة التجار الدعاة انطلاقا من القاعدة التجارية الرئيسية في الصحراء التي باتت في حكم المقدر للفكر الاباضي الدعوة إليها عبرها ما يؤكد القوة المعنوية التي حظيت بها وزادت من تأكيد حقيقة إمكانية اعتباريها ككيان قائم بما كان يجسد من أدوار تسند في الاعتياد للكيانات ذات الإيديولوجيات.

ج- ـ أهم الفرق الاباضية ببلاد المغرب الإسلامي الأوسط: الحركة الفكرية التي ميزت الاباضية، كانت وراء ظهور بذور الافتراق خاصة ببلاد المغرب الإسلامي،إذ شكّلت وفاة الإمام عبد الرحمان بن رستم(160-171هـ/777-788م) تحولا نحو التعددية الفكرية داخل المذهب الواحد بظهور عدد ـ

الحركة النُكَّارية:تعددت حولها الآراء، لكنها تتفق على أن منشأها الخلاف فقد " حدث أبو يحي زكريا رضي الله عنهما أنه قال: اجتمع أبو زكريا مع شيخ من شيوخ النكار في ملء من زواغة وفيه الوهْبية والنُكار، وجرى بينهما الكلام إلى أن قال النكار: يا أبا زكريا نحن وأنتم كلنا نكار لأننا قد أنكرنا على علي بن أبي طالب ما فعل من التحكيم "[4]، ولعل هذا ما كان مبتدأ منشأ الإنكار، لكن يبدو أن الوهبية والنكارية قد ارتبط بمن أقر أو أنكر إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم(171-208هـ/788-823م). فقد"ذكر أن الشيخ ماكسن قال: عرض علي اثنا عشر كتابا من وضع محمد أبي خالد في الساحل، وأنا في الساحل، فظننت انه رجل من النكار، فأبيت من أخذها،

---

[1] محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 299 .
[2] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 371 .
[3] بحاز، الدولة الرستمية، ص 389 .
[4] أبو زكريا، المصدر السابق (العربي)، ص 244. خليفات، الأصول التاريخية، ص 05.

وبعد ذلك وجدته من أهل الدعوة، شيخ يرد على من أنكر إمامة عبد الوهاب رحمة الله عليه"[1].

ويسمّون بالنُّكاث" لنكثهم بيعة الإمام عبد الوهاب الرستمي، ونكارا لإنكارهم لها، ومِسْتاوة البطن من البربر، ويزيدية نسبة إلى عبد الله بن يزيد الفزاري"[2] ذكرهم أبو عمرو السوفي(ق6هـ/12م) نقلا عن المشايخ " بتكفير النكار الفرقة الملحدة في الأسماء.. وهم فرقة بعيدة عن الصواب شديدة الارتياب كثيرة المتالف "[3].

ويبدو أمام هذا أن الإدريسي لم يكن ربما قادرا على التمييز بين النكار و الوهبية عند حديثه عن جزيرة زيزو المتصلة بجربة بما قاله عنهم أنهم " قوم نكار خوارج في الإسلام، مذهبهم الوهبية »"[4].

الحـركة الخَلْفيـة: تنسب لخلف بن السمح بن عبد الأعلى(حي في 221هـ/826م) الذي نصب نفسه إماما على طرابلس، مجيزا بذلك تزامن وجود إمامين إذا ما تباعدت المسافة بينهما[5].

الحُسينيـة (العمرية): مؤسسها هو أحمد بن الحسين الطرابلسي[6]، و الذي هو " أحد المخالفين للإباضية، لا يقرؤون كتبه، بل كانوا يحذرون منها تلامذتهم "[7]، وفي وقت لاحق تسمت بالعمرية نسبة لعيسى بن عمير، ويقال أن أصلها واحدا[8].

السكّـاكيـــة: نسبت لعبد الله بن السّكاك (اللواتي)، عرف أصحابه بمجانبتهم الناس أثناء وقت الصلاة[9].

الفــرْثيـــة: وهم "أصحاب أبي سليمان بن يعقوب بن محمد بن أفلح الإمام بن عبد الوهاب رحمة الله على الأيمة.. وحذر يعقوب أهل وارجلان من ولده أبي سليمان.. فلما مات والده رحمه الله وجد إلى الفتوى سبيلا، فتفسخ وتفرسخ وأفتى بسبع مسائل خالف فيها وأخطأ ما عليه المسلمون "[10]، وإليه نسب القول بنجاسة فرث الأنعام فاتخذت حركته مسماها من ذلك.[11]وأضاف الشهرستاني جملة فرق منها الحفصية (حفص بن أبي المقدام)، اليزيدية (يزيد بن أبي أنيسة)، الحارثية

---

[1] الوسياني، مجموعة سير، مجلد 2، ص 314.
[2] ابن جميع، مقدمة، ص 60.
[3] لونيس عامر، (رسالة في بيان كل فرقة لأبي عمرو عثمان بن خليفة السوفيالمارغني الاباضي)، مجلة جامعة الزيتونة، تونس، ع 3، 1995، ص- ص 295- 297.
[4] الإدريسي، القارة، ص 207 .
[5] عامر النجار، الاباضية، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د.ط)، 2004، ص 44.
[6] عامر النجار، المرجع نفسه، ص 44.
[7] لونيس، (رسالة في بيان كل فرقة)، المرجع السابق، ص 319 (هامش 143) .
[8] عامر النجار، المرجع السابق، ص 44.
[9] حجازي، المرجع السابق، ص- ص 46 - 57.
[10] لونيس، (رسالة في بيان ..)، المرجع السابق، ص 301.
[11] حجازي، المرجع السابق، ص- ص 46 - 57.

(الحارث الاباضي)[1]، ويزيد عليه البغدادي بإضافة فرقة يطلق عليها أصحاب طاعة لا ترد (جماعة أبو هذيل)[2].

والملاحظ أن العدد غير القليل من هاته الفرق لم يتردد ذكرها خاصة في المصادر الأولية الاباضية، ما قد يعطي الانطباع بكونها ولدت ميتة لم تتجاوز حدودها التي ظهرت فيها أو لعدم ارتضاء الاباضية نسبتها إليهم لشنيع أعمالهم و أفكارهم أو لأنها بالأصل لا تربطها بها أي رابطة لا من قريب أو بعيد. وإذا ما عرفنا أن المؤلفات الاباضية قد نفت بشدة نسبة معظم هذه الفرق إليها [3]، يمكن أن نجد أنفسنا أكثر قربا للتفسير الأخير.

يبقى في الأخير التأكيد على أن أهم ما ميَّز الفكر الاباضي في عمومه فسحه مجال الحرية التي امتدت لمختلف أرجاء الكيانات السياسية ذات التوجه الاباضي، ربما لأن ذلك قد يكون مرتبطا بأن هاته الحرية هي المناخ الأكثر ملائمة لحياة المذهب.

وكأنموذج على ذلك من بلاد المغرب الإسلامي الأوسط، ما جسدته تاهرت الحاضرة الاباضية من تعايش بين التيارات التي كانت بها. وهو ما قد أكده ابن الصغير الذي أشار إلى أن كل «" من أتى إلى حلق الاباضية قربوه وناظروه ألطف مناظرة، وكذلك من أتى من الاباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله كذلك "[4]، وهو ما قد يكون مرده إلى ما كانت عليه تاهرت من تعددية " ضمت مختلف القوميات من بربر وعرب وفرس.. ومختلف المذاهب. كان الرستميون كثيرا ما يعقدون الحلقات للبحث والمناقشة، كتلك التي دارت بين الإباضييينوالواصلية"[5]. وتظهر أمام هذا المشهد تاهرت وبفضل سياسة أيمّتها "مركزا مهما للدراسات الإسلامية وفقا لمذهب الخوارج الاباضية، وبفضل تسامح الأيمة استطاع علماء أهل السنة القدوم لجدال علماء الاباضية في كل مسائل العقيدة و الشريعة، وربما راود هؤلاء الآخرين الأمل في أن يقنعوا علماء أهل السنة باعتناق نحلة الاباضية ."[6]

ولعل ما ساعد الاباضية في ذلك ربما قد يكون له ارتباط باهتمامهم بالجوانب ذات الصلة بالعقل وضربهم بوافر الحظ في هذا الميدان الذي استطاعوا بفضل مجهوداتهم أن يكونوا فيه من الأجواد.

د- أئمة بني رستم:

---

[1] الشهرستاني، المصدر السابق، ص- ص 188-201.
[2] البغدادي، المصدر السابق، ص- ص 104- 105.
[3] ابن إدريسو، المرجع السابق، ص 254.
[4] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 22.
[5] جودت، العلاقات، ص 55.
[6] بيل، المرجع السابق، ص 149 .

***امامة عبد الرحمان بن رستم(160 – 171ه/ 777 – 787م):**كان أول امام بويع من أهل تيهرت و من قد نحى نحوهم بعدما وصل اليها هاربا من المطارة التي كان يقودها ابن الأشعث بعد زوال امامة أبي الخطاب عام 140ه/757م. و قد جاءت توليته لاعتبار ما كان عليه من بعد الارتباط القبلي الذي منحه نوعا من الرضى والاجماع الى جانب ما كان قد عرف عليه من علم كونه أحد حملة العلم الخمسة ومن الذين نهلوا المعرفة من منابعها القريبة.

يروي ابن الصغير روايته في هذا الشأن بما يجعلنا نتقبل الرأي المشار اليه. و كأن ابن رستم مثل ملتقى جميع الرفقاء الذين نظروا فوق ذلك الى ما كان يتمتع به ابن رستم من مكان لدى ابن الخطاب الذي وثق فيه فولاه منصب قضاء القيروان. وعرفوا أن صلاحهم انما هو فيه فكان ملتجأهم الذي ولوه أمرهم[1].كانت هاته هي البيعة الأولى في نحو العام 160ه/777م. واستمرت نحو أحد عشر عاما ان الى غاية وفاة ابن رستم في نحو العام 171ه/787م نعمت فيها البلاد وأمنت العباد وعمت الخيرات واتسعت الحدود ة كان الخير فيها غير محدود.

***امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان(171 – 208ه/ 787 – 823م):** أول ما نجد في بيان ابتداءها ما أفادنا به نص ابن الصغير الذي أشار الى نشأة عبد الوهاب في كنف أبيه وما كان له في ذلك من العناية و الرعاية التي جعلته محمود السيرة جليل الذكر بين عموم الناس وخاصتهم وصار ينظر إليه أنه مقتدر على أن يكون متوليا أمرهم. فلما مات عبد الرحمان كان تحرك الجماعات الاباضية وعقدت له البيعة ليكون ثاني الأيمة بعد أبيه من دون أن يفيدنا بأي تفاصيل تكون قد صاحبت العملية التي لا يبدو أنها كانت على مستوى ما أشار إليه من سلاسة الانتقال[2]. لكن بعيدا عن التفاصيل التي أعقبت عملية الاجراء الشوري الذي أقره ابن رستم قبل وفاته وما أفرزه من وضع نتج عنه أول انقسام للجماعة الاباضية[3]. فان عبد الوهاب بعد نحو شهر من شغور منصب الامامة التي واجهت أو اختبار لها. قد وجد نفسه على حد وصف ابن الصغير له ملكا عظيما وسلطانا متصفا بالشدة والبأس[4].

دامت مدة حكم عبد الوهاب سبع وثلاثين سنة عاشت خلالها الامارة القوة في سياستها الخارجية التي صارت معها مهيبة الجانب على امتداد رقعة ما بين طرابلس شرقا وتلمسان غربا الى وارجلان جنوبا[5].

لكن مقابل ذلك كانت الامارة أعجز ما تكون عن مواجهة حالة الفتنة الداخلية التي تنامت واستمرت الى غاية وفاة عبد الوهاب الامام القوي.

***امامة أفلح بن عبد الوهاب(208 – 240ه/ 823 – 854م):** كان يحظى بإعجاب أبيه عبد الوهاب به لدرجة تقليده الامامة بصورة لفظية لما أبلاه من حسن أداء في أحد المعارك التي صحبه

---

[1]ابن الصغير، أخبار الأيمة، ص 27.
[2]نفسه، ص – ص 36 – 37.
[3]أبو زكريا، السيرة،ص54. الدرجيني، المصدر السابق، ج1- ص46.
[4]ابن الصغير، المصدر السابق، ص37.
[5]نفسه، ص39.

فيها ليقول عنه باستحقاقه الامامة[1]. فكان ذلك بمثابة التزكية التي نالها أفلح. فقد كان يمتلك من القوة ما مكَّنه من دفع الامارة إلى أزهى مراحلها واستمر في حكمها نحو خمسين عاما منح خلال البلاد مكانتها الخارجية اذ توافدت عليه الوفود، وعمت الخيرات وتنوعت مصادر الأموال وكثرت الخيرات[2].

***امامة أبا بكر بن أفلح 240 – 241ه / 854 – 855م**

ورث وضعا مستقرا من أيام والده الامام أفلح، ورغم حالة الرفض التي يقال أنها جابهته، الا أن القبول به كخيار لابد منه كان لا مفر منه رغم ما كان ينظر اليه على أنه دون القدرة على ادارة شأن دولة في حجم الدولة الرستمية.

من خلال النص الذي أورده الباروني[3] ندرك حقيقة تغييب العمل بالشورى، و أن ثمة قوة كان لها نفوذها في بلاط الحكم تكون هي من أوعز بذلك. ولعل هذا من بين الأسباب التي جعلت منه غير آبه بالحكم منشغل عنه بملذاته الغارق فيها تاركا الأمر كله على ما تذكر الروايات بيد صهره محمد بن عرفة[4]. الا أن استفاقته لذلك كانت قد أغرقت البلاد في أتون حرب داخلية مستعرة بعد تدبير مكيدة قتل ابن عرفة الذي تعالت الأصوات المنادية بالثأر لمقتله. وشاءت الأقدار أن تحول مسار تلك الأحداث الى صراع أخذ طابعا قوميا ظهر بصورة الصراع بين العرب و البربر ليجد أبا بكر نفسه منعزلا في داره غير قادر على ادارة شؤون الرعية التي يبدو أنها استشاطت لهذا الوضع الذي استمرت تداعياته لغير صالح أبا بكر الذي ستجبره الحال على الخروج من البلاد غير مأسوف عليه فاتحا بذلك المجال في ظل ظهور جماعات من هوارة على مسرح الأحداث وميلهم الى جانب أبي اليقظان الذي بايعوه على الامامة فكان عهدا جديدا[5].

***امامة أبي اليقظان بن أفلح 241 – 281ه / 855 – 894م**ما عرف عن أبي اليقظان تميُّز شخصيته التي اتسمت بالعديد من المحاسن التي ترجمت في مدة امامته التي بلغت الأربعين عاما. فقد اتصف بشخصية كانت متميزة بما امتلكت من خبرات الزمن وتمازجت فيها العوامل العديدة خاصة منها ما كان من علاقاته المشرقية كتلك التي نسجت مع ي عرفتها الامارة الرستمية في عهده.

***امام أبي حاتم يوسف بن محمد281 – 294ه/ 894 – 907م**

---

[1]ابن الصغير، المصدر السابق، ص47.

[2]نفسه، ص 53.

[3] الباروني، الأزهار الرياضية، ج2، ص222.

[4] محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1987، ص 157.

[5] الحريري،المرجع السابق، ص – ص 159 – 163.

بُويع بالإمامة من قبل أهل تاهرت ووافق عليها أهل شوراها وصار أكثر حبا من قبل عموم أهل تاهرت. الا أن محاولات احاطته بأُبَّهة الحكم كانت سببا في منع تواص الناس به. فطالبوا بفتح أبوابه كما كان من ذي قبل. واستُغِل الوضع بتواطؤ من قبل بعض العناصر وتم تحريك العامة ضد أبا حاتم الذي نجح في نهاية مراحل تلك الثورة في استعادة مقاليد الحكم الذي وجد أنه قد اعتراه الكثير من الاختلال في شتى الجوانب. ورغم ما قام به من جهد الا أنه ظل عاجزا عن السيطرة عن الوضع السياسي الذي استمر على حال الاخلال والاضراب الذي كانت نهايته مقتله في العام 294ه/907م على يد أبناء اخيه[1].

***امامة يقظان بن أبي اليقظان 294 – 296ه/ 907 – 909م**

كانت فترة حكمه القصيرة استمرارا لحالة الاضطراب واللا استقرار التي عرفتها الامامة لعدم الرضى على امامته وسخط الناس عليه بعد مقتل ابي حاتم . يضاف الى ذلك ما تزامن و بدايات التحرك الشيعي الذي لم يكن قادرا على مواجهته وكان أحد ضحاياه وفق ما اشار اليه البكري وهو ما ذكرناه سلفا[2].

2- دولة الأدارسة (172 – 375ه / 788 – 985م)

بالرجوع الى ما كتبه ابن عذارى عن الأدارسة، فإننا نجده يصفهم بالهاشمية ويترحم عليهم[3]. ما يعني أنه ينسبهم الى أل بين النبي صلى الله عليه وسلم، و يعطيهم بذلك نوعا من الخصوصية الأقرب الى الاعلاء من شأنهم وبيان ذلك في الأوساط المغاربية التي كانت تنظر دوما لكل وافد من المشرق نظرة خاصة ناهيك على أن يكون منسوبا لبيت النبوة.

ولعل تأكيد ذلك ما كان من ارتباط أمر ابتداء الدولة الإدريسية بشخص ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي الذي يكون قد وصل بلاد المغرب في نحو العام 170ه/786م، وذلك زمن امارة يزيد بن حاتم بأفريقية[4]. و يبدو أن ما كان أقرب للصواب و لما قد يكون عليه الواقع، أنه قد وصل هاربا من بطش سلطان المشرق[5]. كما قد يجوز لنا أن نفترض امكانية اتخاذه ذلك مجرد ذريعة لاستعطاف عامة أهل المغرب وكسب ميلهم له مع ما يكون قد جاء يحمله معه من مشروع سياسي أراد له أن يرى النور بالبلاد المغاربية البعيدة عن السلطة المركزية. وفي رأيي أن هذا ربما ما كان وراء سرعة استجابة القبائل المغربية التي تكون قد اجتمعت حسب ابن عذارى بمنطقة وليلي

---

[1] الحريري، المرجع السابق، ص – ص 180 – 181.
[2] البكري، المصدر السابق، ج1، ص153.
[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص82.
[4] نفسه، ج1، ص82.
[5] نفسه، ج1، ص83.

بنفس العام الذي يكون قد وصل فيه، و أعلنت تلك القبائل طاعته وجعلوا منه مقدما على أنفسهم، وبدأ في تحركه لتوسيع سلطانه نحو باقي القبائل بمناطق الجوار لي[1]تم له على اثر ذلك تحقق الامارة في نحو العام 174ه/790م.

ومن الاخطاء الشائعة القول ان دوله الادارسة دوله شيعيه لان مؤسسيها وامراءها كانوا من آل البيت والادارسة رغم علويتهم إلا أنهم م يكونوا شيعيين فقد كانوا سنيين لا يعرفون الآراء الشيعية التي شاعت ايام الفاطميين ، والوصف الصحيح لهذه الدولة انها كانت دوله علويه هاشمية .

عرفت دوله الادارسة في بلاد المغرب فوق قرنين ونصف قرن اي ضعف ما مرت به دولتا الاغالبة والرستميين ، وظهرت دوله الادارسة في بلاد المغرب وتأسست في بلاد المغرب الاقصى .

قامت دوله الادارسة على اساسين :

الاول : طموح العلويين الي إنشاء دوله بعيدة عن متناول الدولة العباسية.

الثاني : رغبة قبائل المغرب الاقصى في إنشاء كيان سياسي خاص لهم .

دور الدعوة :-

-مؤسس الدولة : هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن على بن ابي طالب.

- سبب النشأة : كان إدريس قد فر هاربا بعد مقتل اخوته الثلاثة على ايدي العباسيين ذلك اثناء ثوراتهم ضد العباسيين لإقامة دولة علويه ولكن العباسيون استطاعوا إخماد تلك الثورات لذلك رأى إدريس انا خير وسيله هي البعد بدعوته عن مركز الخلافة العباسية، ففكر في بلاد المغرب وكان يعرف اللسان البربري الذي يتكلم به الناس وكان رجلاً ذكيا حسن التصرف بعيد النظر .

اسباب هروب إدريس بدعوته الي المغرب :

1- لبعدها عن مركز الخلافة العباسية .

2- صعوبة تضاريسها التي تسهل مهمه الدفاع وتصعب مهمه المهاجم .

3- حب وتعاطف اهل البيت

[1] نفسه، ج1، ص84.

هرب إدريس الي المغرب واصطحب معه راشد وهو من اصل بربري وخرجا في زي التجار مع القوافل وكان راشدا هو السيد و إدريس خدامه ثم ظهر الاثنان في طنجة واخذ راشد يدعو لامير علوي يحمل رايه الاسلام ويخلص الناس من الظلم .

لم يتمكن من نشر الدعوة في طنجة لقربها من الاندلس التي تدين بالولاء لعباسيين ، احس راشد ان مكان القوة يكمن في وسط قبائل اوربة في مدينه "وليلي " عند قاعدة جبل يسمى زرهون وكانت وليلي مدينة استراتيجية حيث انها تتمتع بمركز تجاري وسوق عظيم للقبائل لذلك كانت اصلح ما تكون لإقامة دعوة إدريس السياسية .

نزل ادريس في مدينه وليلي واخذ يدعو لنفسه ولم يكن من العسير ان يكسب انصاراً ولقت الدعوة انتشارا راسخا بين القبائل مثل البربر وقبيله اوربة حيث كانوا شيوخها مستعدين لتأييد زعيم يقودهم في ثورة للخروج من سلطان برغواطة .

كانت قرابته من الرسول كافية لاجتذاب القلوب اليه ونجح في بث سلطانه في نواحي المجاورة أما بالسلم أو بالحرب حيث امتد سلطانه في اقل من عام الي بقعة كبيرة من المغرب الاقصى عام 172هـ واصبح امير وليلي.

استطاع ادريس ان يسود حوض سبو وبعض المنطقة الشمالية من المغرب الاقصى ، هنا تنبه الخليفة العباسي هارون الرشيد الي ما يمكن ان ينجم من الخطر من هذه الدولة .

كان اكثر ما اخافه ان اميرها علوي من اهل البيت فله مكان عظيم من حب الناس ، ادرك هارون انه من الصعب إرسال جيش للقضاء على دوله الادارسة الي بلاد المغرب بسبب بعد المسافة بين بلاد المغرب و مركز الخلافة العباسية ببغداد ، وقيل ان هارون لجأ للحيلة والاحتيال للقضاء على ادريس اعتقاداً منه ان ادري اذا مات ستسقط دوله الادارسة ففكر في اغتياله بالسم وارسل له من يدس له السم هو "الشماخ" فمضى الي المغرب وكسب ثقة ادريس ثم دس له السم فمات ادريس سنه 175هـ اي انه حكم 3 سنوات .

1- راشد وادريس الثاني في تقويه دوله الادارسة :

ظهرت مهارة راشد الذي كان مدبر الحقيقي لهذه الدوله فلما توفي إدريس ترك احد جواريه تسمى كنزة وكانت حامل فاتفق راشد مع الرؤساء ان ينتظروا حتى تلد فإذا ولدت غلاما كان اميرهم وسيحمل الامامة من بعده وبالفعل جاء غلاماً وهو "إدريس الثاني " واهتم راشد بتربيته وتكوينه

واعداده للامارة. ثم مات راشد وبقى الغلام ادريس دون راعي فقام بهذه المهمة شيخ من شيوخ البربر فجدد البيعة لادريس 187هـ وبدأ إدريس الثاني يحكم مستقبلاً بنفسه ابتداءً من سنه 192هـ .

بايعت معظم القبائل الكبرى في المغرب إدريس الثاني كـ زناتة وأوربة ، مما ساعده على استكمال قوته العسكرية وإعداد جيشه لذا يعتبر إدريس الثاني هو المؤسس الحقيقي لدوله الادارسة .

- ***تأسيس مدينه فاس :***

اتجة نظر إدريس الثاني الي الخروج من وليلي حيث كان يريد التحلل من سلطان قبيله اوربه جيث ازدادت قوته باعتماده على العرب الوافدين من افريقية وقد احلهم محل البربر ففكر في مدينة جديدة تكون حاضرة لدولته ومسكنا له فدله الناس على وادي يصلح لمدينه على احد فروع نهر سبو بين جبلين يسمى وادي فاس فأنشا فيه بلده صغيرة سميت عدوة ربض القرويين ، ووفدت جماعة من مهاجرة قرطبه أنشأوا قريه مجاورة عرفت بأسم عدوة الاندلسين ، ومن العدوتين تكونت مدينه فاس وبنى فيها قصر وسور ومسجد، وانتقل الي فاس واصبحت عاصمة دوله الادارسة من 196هـ .

وابتداء من 197هـ بدا إدريس سلسلة حملات اثبتت سلطان الدولة من تلمسان الي ساحل المحيط الاطلسي ودارت ضرب بينه وبين الرغواطيين، ومات إدريس الثاني عام 202هـ بعد ان ثبت دعائم الدوله بعد حروب طويلة ومؤامرات خطيرة من جانب منافسة من بني الاغلب .

سقــوط دوله الادارســة :-

بعد وفاه ادريس الثاني نجدابنه "محمد بن ادريس" يتصرف تصرف غريب وهو تقسيم الدوله بين اخواته الكثيرين حث اعطاهم نواحي الدوله اقطاعات ينفرد كل منهم بناحية منها فضعفت الدوله.

واكتفى هو بفاس وكان التقسيم يعطي الاخوة بلداً او اكثر او اقليما وكان له الحق في الاستيلاء على معظم المال الذي يجمع من الناحية مما ادى الي انقلاب بعض الاخوة عليه فاستعان محمد باخيه عمر فاتسعت ولايه عمر حتى بلغت نصف الدوله الشمالي والغربي كله .

وعندما مات محمد ادريس الثاني عام 220هـ ترك الدوله مقسمة وضعيفة .وخله ابنه "على الاول بن محمد "وكان غلاما في التاسعه فحكم تحت وصاية اقاربه ورجاله الدوله حتى توفي سنه 224هـ وعهد الامر الي اخيه "يحي الاول بن محمد " وفي عهده قامت المنسأت في فاس وانشئ

جامع القرويين على يد "فاطمة بنت محمد" واصبح جامع فاس مركز للعلم والدراسة وتحول الي جامعة .

ثم بعد يحي الاول حكم ابنه "يحي الثاني " وكان شاباً طائشاً مثار عليه الناس وطردوه حتى اختفى ومات ثم اختاروا ابن عمه "علي الثاني بن عمر" ولكن ثار عليه احد زعماء الخوارج ففر الي قبيله اوربه ثم تولى "يحي الثالث بن القاسم" الذي صرف وقته في قتال الخوارج الصفريه حتى قتل فانتقل المللك الي "يحي الرابع بن ادريس بن علي" وفي امارته اقبل جيش كبير من انصار الفاطميين يرأسه "مصالة بن حبوس الكتامي" قائد عبيد الله المهدي وهدفه إزاله دوله الادارسة ، وانتصر مصاله ثم تولى على المغرب الاقصى "موسي بن ابي العافية " وطمع في ان يحل محل الادارسة وبالفعل تم له ذلك وقضى على امراء الادارسة ونفي الباقيين الي قلعة في جبال الريف تسمى حجر النسر وبذلك انتهى الدور الاول من تاريخ الادارسه على يد الفاطميين .

وعليه نستخلص تاريخ الدولة فيما يلي

ارتبط قيامها بواقع النظرة التي كانت ترى في بني هاشم كونهم الأحق و الأجد بالخلافة من بني أمية **(132-41هـ/661-750م)**. ومع قيام الدولة العباسية **(656-132هـ/750-1258م)**صار الأمر أشد تعقيدا أمام محاولات بني العباس الاقتصار في الحكم على بينهم.

ومع اعلان قيام الدولة الادريسية ببلاد المغرب أبانت الدولة العباسية عن موقفها الصريح المعادي لها. ومرد ذلك عدائها القديم في بداية عهدها مع محمد بن عبدالله الملقب بالنفس الزكية وشقيقه إبراهيم اللذين استطاع الخليفة المنصور التخلص منهما بعد أن أعلنا ثورتهما عليه، وسالت دماؤهما في المدينة المنورة ببلاد الحجاز والبصرة جنوب العراق. في حين أن شقيقاً لهما يدعى إدريس بن عبد الله استطاع الافلات حتى أتى المغرب مستترا في قافلة حجاج مصر بعد موقعة فخ الدامية التي كانت في نحو العام 169ه/785م. وقد اتخذ منه مختبئا له. وادريس هذا هو إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي اليه تنسب الدولة الإدريسية. أو كما تعرف أيضا باسم الدولة العلوية.

لما وصل إدريس بن عبد الله المغرب، استقر به المقام أولا في مدينة (وليلى) مطلع شهر ربيع الأول عام 172هـ (788م)، عند زعيمها عبد الحميد بن إسحاق الأوْرَبِي الذي دعا جماعة أَوْرَبه لبيعته، فتم له ذلك و تلقب من يومها بلقب أمير المؤمنين

واصل بعدها التعريف بنفسه وبالمنهج الذي يمشي فيه والذي كان قائماً حينها على نشر الاسلام، ورسالة آل البيت، وتثبيت القواعد السليمة للدين في مناطق عرف عنها انحراف العقيدة، قوبل بمبايعة الكثير من قبائل البربر له. كما قاموا بقطع صلاتهم تماماً مع الدولة العباسية، وبذلك شكل هذا خطراً كبيراً بالنسبة للعباسيين الذين لا يبدو أنهم سيظلون مكتوفي الأيدي.

مع تعاظم قوة الدولة الإدريسية، أدرك هارون الرشيد ابأن العمل الحربي لا يجدي نفعاً، وقد كان عليه من العسير إنفاذ جيوش للقضاء على حركة إدريس التي باتت تزداد قوة يوما بعد يوم، وذلك لعامل الجغرافية . ولصعوبة مراس الجماعات البربرية الملتفة حوله. لذا فإنه سلك طريقاً آخر ولجأ إلى المكيدة والغدر، حين قرر اغتيال زعيم هذه الحركة والدولة الشيعية الفتية.

ويروي أبو الفرج الأصفهاني روايتين حول اغتيال إدريس، الرواية الأولى تذهب إلى أن الخليفة العباسي هارون استشار وزيره يحيى بن خالد البرمكي في أمر إدريس، فتعهد هذا بأن يكفيه الأمر، ونجح يحيى البرمكي في إغراء أحد زعماء الفرق الشيعية (الزيدية البترية)، وهو سليمان بن جرير الجزري بأن يغتال إدريس بن عبد الله بالسم، فخرج سليمان إلى بلاد المغرب ونجح في التظاهر بأنه خارج على العباسيين، وكسب ثقة إدريس حتى اطمئن الأخير إليه، ولما حانت الفرصة لسليمان في تنفيذ جريمته، فقد أعطى لإدريس قارورة زعم له أن بها عطراً مستقدما من العراق، فشم إدريس القارورة، وكان بها سمٌ شديد فمات، وفطن أنصاره إلى المؤامرة فقتلوا سليمان، بعدما أمسكوا به حين هروبه.
أما الرواية الثانية للأصفهاني أيضا، فتفيد أن الرشيد وجه إليه الشماخ مولى المهدي وكان طبيباً تظاهر لإدريس بأنه من الشيعة، ثم نجح في قتله بالسم، فمات في سنة 177هـ/793م، ولكن موته لم يقض على مشروع الدولة الإدريسية أمام اصرار أتباعه على الاستمرار في المشروع الذي باشره ادريس الأول وصمموا من خلاله على الاحتفاظ باستقلالهم.

و أيا كان الحال.فقد وجد إدريس الأول مقتولاً بالسم ولم يُخلف وراءه إلا جاريةً تُدعى كنزة وقد كانت حاملاً منه، واتفق حينها ولاة الأمر بأن أمر الخلافة يتوقف على المولود الذي ستضعه، فلو كان ذكراً بايعوه. فولدت إدريس الثاني الذي بويع بخلافته لوالده. يُعد الأدارسة أول السلالات الإسلاميّة المستقلة في بلاد المغرب في الفترة الواقعة من (974-788 م). وقد اتَّخذوا من مدينة وليلي مقرا لهم قبل ان يتحولوا الى مدينة فاس. وكانت قد شهدت ازدهارا معتبرا جعلها محط أعجاب الكثيرين بالنظر الى ما حققه ساستها من منجزات في عهد إدريس الأول المؤسس انتظم

للدولة جيش كثيف وقوي أخضع من حوله من بلاد المغرب الأقصى الكثير من الأقاليم والمدن لاسيما البلاد التي لم تكن دخلت في الإسلام.

بلغت دولة الأدارسة أوُجَّ ازدهارها في عهد يحيى الرابع بن إدريس بن عمر بن إدريس الثاني، الذي استمر في حكمه لمدة تقارب ثمانية عشر عاماً، إذ يعتبر بالنظر لما تحقق على يديه من إنجازات بمثابة المؤسس الحقيقي للدولة. فإليه يُعزى الفضل في بناء العاصمة الجديدة فاس.

لكن قدر هاته الدولة كما هو عمر الانسان. فقد تعرضت للانقسامات الداخلية وما تبعها من صراعات في ظل ما رافق كل ذلك من استشراء حالة الفساد العام. ساعد كل ذلك مع تقدم الزمن تعيش حالة الترهل السياسي ودب في أوصالها الضعف الذي سهَّل على الفاطميون الاستيلاء على مقدراتها و القضاء النهائي على وجودها الساسي.

4- دولة بني مدرار بسجلماسة

ارتبط تأسيس إمارة الخوارج الصفرية بني مدرار السجلماسية بشخصية أحد زعماء قبيلة مكناسة سمكو بن واسول الذي كان ممن شارك في ثورة البربر بقيادة ميسرة المطغري، وذكرت بعض المصادر أنه كان "من حملة العلم، ارتحل إلى المدينة فأدرك التابعين" وأخذ في القيروان عن عكرمة البربري أصول المذهب الخارجي. وورد اسمه أيضا هذه الصيغة "أبو القاسم سمغون بن مزلان بن أبي يزول"، وترجمته "أبو القاسم الأسود بن الحداد بن صاحب الحديد". لكنه اشتهر بلقب مدرار بن عبد الله. وكان يخضر سوق قبيلته "بما يعد لها من آلات الحديد، إذ كان حدادا"، وكان والده عبد الله من أصحاب طارق بن زياد الذين رافقوه في فتح الأندلس. وقد توجه سمكو ومن معه من أتباع المذهب الصفري للاستقرار منذ سنة 138 هجرية (755م) بتراب قبيلته مكناسة البدوية في المكان الذي تعقد فيه سوقها السنوي على مر زيز في طرف الصحراء

أولا : تأسيس الامارة

في سنة 140 م 757 م أعلنت جماعة من الخوارج الصفرية كانت ترتبط بسمكو بن واسول عن تأسيس إمارة وبيعة رجل منهم يدعى عيسى بن يزيد الأسود (من بلاد السودان) بالإمامة (140-155 ه/757771م). ثم قرروا بناء مدينة سجلماسة. ويبدو أن تأسيس الإمارة حصل بعدما تمكن العباسيون من إحكام قبضتهم على القيروان، وحصول خلاف بين الخوارج الإباضية والصفرية.

وقد انضمت إلى الإمارة الجديدة بطون زناتة وزنوج السودان، لكن خلافا ما سيؤدي إلى الانقلاب على عيسى بن يزيد الأسود فأجمعت زعامات الصفرية على عزله وقتله بعد توجيه تهمة السرقة إليه. ثم بايعوا سمكو بن واسول (168 - 155 ه/771-784م) الذي سيورث الحكم لابنه إلياس الملقب بأبي الوزير (168174م/784-790م). ثم انتقلت بالوراثة إلى أحفاده، ومنهم اليسع بن إلياس الملقب بأبي المنصور (208 . 174 ه/790 -823م) الذي يعود إليه الفضل في توسيع رقعة الإمارة في اتجاه بلاد درعة والسيطرة على مناجمها وإخضاع القبائل المخالفة.

ثانيا: مراحل تطور الدولة

تقوت امارة بني مدرار بسيطرتها على المسالك التجارية التي كانت تتجه إلى بلاد السودان عبر تراب قبيلة مسوفة الصنهاجية والتي كانت تنشط بالخصوص في تجارة الذهب والعبيد. وهذا ما جعل إمارة سجلماسة تمد خطوط تجارها في اتجاه العديد من الحواضر شمالا، مثل نكور ومرسي المزمة، ومنهما كانت التجارة الصحراوية تتوجه نحو مالقة وبجانة في الأندلس، كما كانت طرق أخرى تتجه شرقا نحو القيروان عبر تيهرت. وامتدت خطوط تجارة سجلماسة في نفس الوقت غربا إلى أغمات ونفيس، لتصل بعد ذلك إلى بلاد تامسنا وفاس نحو سبتة في اتجاه الأندلس. ووصلت جنوبا إلى إيجلي وبلاد درعة.

وقد بوأت التجارة الصحراوية إمارة سجلماسة مكانة خاصة في الاقتصاد المغربي خلال العصر الوسيط، حيث أصبحت المدينة "باب معدن التبر" والمدينة الأكثر نشاطا وتحكما في الشبكة التجارية التي تربط المغرب ببلاد السودان وإفريقية والأندلس. ودفع الازدهار الذي بدأت المدينة نشهده في عهد اليسع إلى توسيع عمرانها وحمايتها بسور وقصدها قبائل عديدة للأقامة. فتم تقسيم احيائها على القبائل. كما رفدت عليها في عهد هذا الأمير وبالضبط سنة 818 م أفواج المهاجرين الأندلسيين المعروفين بالربضية الذين أجلاهم الأمير الأموي الحكم بن هشام من قرطبة بعد ثورهم العارمة عليه في نفس السنة، فتفرقوا في البلدان، واشتغلوا في العديد من الحرف. وكانت بسجلماسة أيضا جماعة يهودية كبيرة، اشتغل أغلبهم في البناء وبجانب التجارة ازدهر اقتصاد المدينة الفلاحي، فتكاثرت على طول المجاري المائية وحول العيون مزارع الحبوب والقطن وبساتين النخل والأعناب وحقول الخضر، مستفيدة من موقع الحاضرة بين "نهرين

وعنصرهما في موضع يقال له أجلف"، أي الرأس بلسان أهل البلد. لذلك وصفت سجلماسة بأنها "من أعظم مدن المغرب"

في عهد الأمير مدرار بن اليسع (208 - 253 ه|823-876 م) دخلت البلاد في مرحلة من الاضطرابات السياسية والخلافات المذهبية بين الخوارج الصفرية والإباضية، ولم تستقر الأوضاع إلا في عهد الأمير اليسع بن ميمون (270-297 ه/883 - 909 م). وفي سجلماسة تمت بيعة عبيد الله المهدي الفاطمي الذي كان قد أسر بها، لكن أتباعه هاجموا المدينة سنة 297 ه/883 م وقتلوا أميرها اليسع وأطلقوا سراح إمامهم عبيد الله المهدي وبايعوه إماما، ثم غادرها الفاطميون نحو إفريقية فاستقروا برقادة. وسيعود الفاطميون لغزوها مرارا، وقد تمكنوا من احتلالها وقتل أمرائها وتفكيك نظامها السياسي.

وبعد تراجع إحدى حملات الفاطميين اعتلى السلطة الأمير المداري محمد بن الفتح الملقب بالشاكر بالله (332 - 347ه/943 - 958م) قام بإبطال دعوة الفاطميين وتخلى عن المذهب الصفري والتحول إلى مذهب أهل السنة والجماعة، فتسمى بأمير المؤمنين وضرب الدنانير الذهبية التي عرفت بالدنانير الشاكرية التي انتشرت في الآفاق وعرفت بجودها وصفاء ذهبها. لكن الفاطميين لم يتخلفوا عن مهاجمة سجلماسة وإجهاض هذا التحول واحتلالهم من جديد، وقد تمكنوا من أسر الشاكر لله وأخذه أسيرا إلى رقادة حيث توفي هناك.

وعندما أخذت سلطة الفاطميين تتراجع وجه أمويو الأندلس حليفهم خزرون المغراوي إلى احتلال سجلماسة سنة 366 ه /976م، وتمكن من قتل آخر أمراء بني مدرار وبعث برأسه إلى قرطبة كتعبير عن الولاء "وكان ذلك في أول حجابة المنصور بن أبي عامر المستبد على بني أمية بالأندلس". وبذلك طويت صفحة هذه الإمارة.

وهكذا دمرت امارة أخرى بسبب الصراع الأموي الفاطمي و دخل المغرب في مرحلة ملوك الطوائف خاصة به . شكل فيها قبائل مغراوة و بني يفرن كيانات متعددة في المغرب الأقصى.

4- الدولة الفاطمية(296 - 365ه/ 909 – 976م)

كان ابتداء الدعوة الشيعية بما قام به الداعي أبي عبد الله[1] المنعوت من قبل الخصوم بالشيعي بما يحمله ذلك من نوع من الاستصغار على ما يبدو.

تشير الروايات أن أبا عبد الله كان قد التقى في ابتداء أمره مع نفر من أهل كتامة، و يقال أن ذلك كان قد تحقق في فرصة اللقاء في موسم الحج[2]. لينتقل معهم الى مواطنهم بالمغرب الأوسط. إذ كانت مرتفعات إيكجان مستقرا لهم في نحو العام 280ه/893م[3]. وتذكر الروايات أنه ضمن التفاف الناس من حوله وصار يعرف بينهم باسم المشرقي[4]. ولا شك أن قدرته على التواصل مع أهل المنطقة ربما كان عن طريق التراجمة الذين استطاعوا إيصال بلاغته وقدرته على الإقناع مقابل ما كانوا يحملونه من إجلال لكل وافد من المشرق هي التي حققت هذا الالتفاف الذي أخذ يزداد اتساعا في غفلة من رأس السلطة الأغلبية ممثلة في شخص إبراهيم بن أحمد الأغلبي الذي لم يكن على ما يبدو في مستوى القدرة على إبداء أي موقف إزاء هذا الوضع أو حتى مجرد أن يوليه أدنى اهتمام من دون أن يعلم أنه سيحمل معه نهاية عرش أجداده. وقد بلغ به الحال من شدة تأثيره فيهم، أنه كان وقت المنادات للحرب لا يزيدهم فوق تحديده الموعد ومكان الملتقى فيأتي اليه جميعهم من دون أن يتخلف منهم عنه أي أحد حسب ما يذكره ابن عذارى[5]. وهو ما يؤكد حقيقة أن أبا عبد الله استطاع سلب عقول أهل كتامة بما كان قد امتلكه من سحر الكلام وقوة البيان[6].وليس أدل على ذلك ما حققه من قدرة اقناع لهم بالعدول عن الاستمرار في المذهب الاباضي الُنكَّاري الذي كانوا عليه، و من ثم التحول للفكرة الجديدة التي كان يدع اليها أبا عبد الله[7].

كانت مهمة الداعي على ما يبدو ترويجية هدفها تهيئة الأجواء لتقبل الفكر الذي كان يسعى للترويج له تنفيذا لتوجيهات ربما يكون قد تلقاها قبل انطلاقته من بلاد المشرق. و أمام النجاح الذي لاقته أفكاره التي جاء بها. وبلوغ أنباءه السارة الى أبي عبيد الله المهدي الذي كان يتقفى أثره ويستقصي خبره. تحرك هذا الأخير متجها نحو بلاد المغربمتنكرا في زي تاجر الى أنانتهى به المطاف بعد

---

[1] هو الحسين بن أحمد بن أحمد محمد بن زكرياء، أصيل صنعاء أو الكوفة على ما تباينت الروايات، تلقى أصول الدعوة الإسماعيلية مباشرة من لدن ابن حوشب. للمزيد ينظر: الذهبي شمس الدين محمد، سير أعلام النبلاء، تح، محمد أسعد طلس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج14، ص 58. ابن حماد، ص19.

[2] المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار، القاهرة، ج2، ص 349

[3] ابن الأثير، ج6، ص127.

[4] ابن أبي دينار أبي عبد الله محمد، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، تح، محمد شمام، المكتبة العتيقة، ط3، ص54.

[5] ابن عذارى المصدر السابق، ج1، ص138.

[6] نفسه، ج1، ص125.

[7] نفسه، ج1، ص 124.

انكشاف أمره في أحد سجون سجلماسة عند سلطان بني مدرار. اضطر هذا الحال الداعي أبا عبد الله الى استخلاف أخيه مكانه والتحرك نحو معتقل أبي عبيد الله في محاولة ستكلل بفك أسره[1]. فاستولى في طريقه على تيهرت العاصمة الرستمية[2] منهيا بذلك حكم الرستميين لها ولبلاد المغرب الأوسط الذي سيرزح تحت السلطة الجديدة ليتجه رأسا نحو فرض حصار على سجلماسة المدينة التي سقطت في يده، وأخرج أبا عبيد الله من سجنه ليتخذ من رقادة عاصمة الملك الجديد الذي انحاز له وقوبل بالترحاب من أهلها و أهل القيروان اعتبارا من العام 297ه / 910م، وأعلن بذلك عن ميلاد الخلافة الفاطمية[3]. وفي وقت لاحق تم اختيار مدينة المهدية عاصمة الخلافة لما تميزت به من استراتيجية الموقع الذي أكسبها ميزات جعلت منها مركز الخلافة[4].

أولا: الأئمة الخلفاء المتعاقبين على خلافة الدولة الفاطمية ببلاد المغرب:

تباينت الرؤى حول النسب الذي إليه يرجع الفاطميون. وتوزعت بين من ألحقهم بالسيدة فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم[5]. و من ربطهم بالحسين بن الامام علي[6]. في حين نسبهم آخرون الى اسماعيل بن جعفر الصادق فتسمُّوا بالإسماعيلية[7]. في حين نجد من أنكر عليهم كل ذلك و نسبهم الى رجل من بلاد فارس هو عبد الله بن ميمون القداح المنتسب الى منطقة الأهواز والذي كان يقوا بفكرة وجود إلهين إثنين موزعين بين الظلمة والنور[8]. كما تسمى باسم الدولة العبيدية نسبة الى المؤسس أبي عبيد الله وهو الغالب خاصة في بلاد المغرب ونراه أقرب الى ابعادنا عن جدلية الانتساب.

***عبيد الله المهدي (297 – 322ه / 910 – 934م)**

---

[1] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص55.

[2] المالكي ابن الصغير، أخبار الأئيمةالرستميين، تح، محمد ناصر وابراهيم بحاز بكير، ص، ص 9، 10. ويذكر أنه لما دخل تيهرت أمعن في أهلها السيف، وقتل حاكمها يقظان بن أبي اليقظان وعدد من أهل بيته من من أعجزهم الهرب، وليس مستبعدا أن يكون ربما قدعاملهم بعنف في ظل ما قام به من قطع رؤوسهم التي طوّفت بها القيروان لينتهي بها المقام عند أبواب مدينة رقادة التي ستكون العاصمة الجديدة للدولة الناشئة. ينظر، ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 153.

[3] القرشي، المصدر السابق، ص148.

[4] ألفريد بيل، المرجع السابق، ص76.

[5] ابن أبي الضياف أحمد، اتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية، تونس، ط2، 1976، ج1، ص153.

[6] المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص348.

[7] شارل أنري جوليان، المرجع السابق، ج2، ص72.

[8] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 2009، ج2، ص144.

نسب المؤسس كان مثار جدل و اختلاف بين النسابة والمؤرخين الذين تباينت أقوالهم بين من قائل بأنه هو عبيد الله بن حمد بن الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب[1]. و أخذ لقب المهدي استئثارا من بني العباس[2]. و ربما كان ذلك مرتبط بعقيدة الخلاص التي تقوم على ظهور شخص ينظر اليه مخلصا للبشرية وهو ما يسعى من خلاله المؤمنون بها الى تحقيق توسع انتشارهم من خلال الترويج لها.

ولد أبا عبيد الله عام 259ه/873م، وقيل في السنة التي تليها. وأن مولده كان بمدينة سلمية أو بالكوفة. وقام على تربيته عمه أبو الشلعلع محمد بن أحمد[3].

القيرواني في ما نقل عنه في وصفه لشخص أبي عبيد الله الامام، أشار لجمال هيئته واكتمال بنية جسمه الذي أكسبه مهابة، أبان على قدر من الدراية بفن السياسة وادارة شؤون مملكته[4].

هو الامام الحاكم الأول الذي تولى شؤون الدولة الناشئة على يده اعتبارا من العام 297ه/910م، استحق لقب أمير المؤمنين[5]. ابتدأ عهده بارسال العمال الى الأقطار، و جباية المستحقات، واعتمد على استخلافه الداعي أبا عبد الله في تولي شؤون صقلية باسم أمير المؤمنين. قبل أن يقدم على قتله وأخيه أبي العباس لما بلغه عنهما كونهما يضمران الشر ونية الإيذاء له. وكان ذلكفي نحو العام298ه/911م[6]. كما ينسب اليه فضل فتح طرابلس التي فرض على أهلها غرامة مالية. و في العام 300ه/912م في طريقه لفتح تونس، وقع اختياره على المهدية المدينة الساحلية لتكون عاصمة لدولته[7].

---

[1] ابن الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من من الكلام، تح، سيد كروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص – ص 315 – 316.

[2] محمد بن محمد الأندلسي، ص 14.

[3] ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، تح، علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص93.

[4] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص272.

[5] حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص145.

[6] أبو الفتح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري، بيروت، لبنان، ج1،ص227.

[7] ابن عذارى المراكشي أبو عبد الله محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح، ج س كولان و ليفي بوفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ج1، ص169.

عن عمر ناهز الثلاث و ستون عاما، و بعد انقضاء نحو أربع وعشرون سنة في الحكم، توفي الامام المهدي المؤسس في العام 322ه/934م ودفن بالمهدية[1] مخلفا وراءه دولة صار يضرب لها أكثر من حساب بالنظر الى ما وصلت اليه من انجازات عسكرية في عهده.

***القائم بأمر الله (322 – 334ه / 934 – 945م)**

هو أبو القاسم محمد بن عبيد الله، لُقِّب بالقائم بأمر الله[2]. كان مولده بسلمية عام 279ه/892م، وقد تولى الحكم بأمر من أبيه[3].

كان عهده مليئا بالانجازات والأحداث. حيث فتح عديد المناطق منها جنوة و كورسكا وسردانية كما كانت تسمى و اليه يعود فضل تأسيس المحمدية بما يعرف اليوم بالمسيلة، مقابل ما شهده من عديد الثورات التي انتفضت ضده[4]. بدءا بالرغواطيين في تادلا، و موسى بن أبي العافية في فاس، وصولا الى ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد عام 333ه/944م[5].وهي الثورة التي توفي القائم بأمر الله قبل إخمادها[6].اذ كانت وفاته عام 334ه/945م عن عمر قارب 55عاما[7]. بعد أنكان قد قضى في حكمه الدولة مدة نحو اثنا عشر سنة ونصف تقريبا[8].

***المنصور بالله اسماعيل (334 – 341ه / 954 – 952م)**

هو أبو الطاهر اسماعيل بن القائم بأمر الله[9]. مولده بمدينة المهدية عام 299ه/912م، وقيل عام 301ه/945م، تلقَّب بالمنصور[10]. وصفه ابن حماد بقوله فيه أنه " لم يكن في بني عبيد مثله، وكان بطلا شجاعا بليغا، فصيحا يخترع الخطبة لوقته"[11]. استقبل بداية حكمه ثورة ابن كيداد التي كانت لاتزال مستمرة مذ عهد أبيه، وكان انتصاره عليها في العام336ه/949م[12] عُد مكسبا سياسيا

---

[1] ابن الأبار، ج1، ص192.
[2] أبو عبد اله بن الخطيب، رقم الحل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، ص34.
[3] حاجيات عبد الحميد، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، مطبعة الديوان، الجزائر،ص98.
[4] ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، تح، عبدالرحمان علي حجي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ص34.
[5] عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها الى مصر الى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، دار الثقافة، القاهرة، مصر، 1991، ص56.
[6] التجاني أبي محمد عبد الله بن أحمد، رحلة التجاني، دار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص324.
[7] المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص235.
[8] ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص291.
[9] ابن المجذوب الفاسي، ج1، ص250.
[10] الصفدي، ج9،ص122.
[11] ابن حماد، ص31.
[12] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص55.

لصالحه. خلَّد مجده ببناء مدينة المنصورية غير بعيد عن القيروان، و اتَّخذ منها مقرا لحكمه في نحو العام 337ه/948م[1]. كما يرجع اليه الفضل في اعادة ترتيب العلاقات بين شطري العالم الاسلامي مشرقه ومغربه، اذ يعزى اليه فضل اعادة الحجر الأسود لموضعه عند الكعبة المشرفة في حدود العام 339ه/950م[2]. بعد فترة حكم دامت نحو ثمان سنوات، مات المنصور عن عمر قارب الواحد والأربعون سنة ونصف السنة، وذلك في نحو العام 341ه/952م[3].

***المعز لدين الله الفاطمي (341 – 365ه / 952 – 975م)**

هو أبو تميم كمعد بن المنصور بالله أبي الطاهر اسماعيل بن القائم محمد بن المهدي[4]. كان بمدينة المهدية مولده العام 319ه/931م، وقد تلقى البيعة كحاكم للدولة بعد وفاة والده في العام 341ه/952م[5]. أفادنا القيرواني في ما نقله عنه ابن أبي دينار عن شخصيته بما قاله عنه أنه كان " عالما فاضلا جوادا سمحا شجاعا جاريا ورغم ذلك لم يكن قادرعلى منهج أبيه من حسن السيرة وانصاف الرعية"[6]. اذ كان على ما بدا من قوته أن خضعت له البربر ودانت لسلطانه[7]. ومع ذلك لم يكن قادرا على انهاء الصراع مع الأمويين في الأندلس، اذ استمر في عهده من خلال ثورة حاكم سجلماسة محمد بن الفتح المعروف بالشاكر بالله، والذي سيَّر له المعز جيشا استطاع اخماد ثورته واقتيد أسيرا في العام 358ه/969م[8]. كما فتحت في عهده مصر على يد القائد جوهر الصقلي الذي شرع بأمر من المعز في بناء القاهرة المدينة التي أخذت من شخصية المعز نصيبا لما علِّق عليها من أن تكون قاهرة الأعداء. والتي انتقل اليها في حدود العام 362ه/973م متخذا منها عاصمة حكمه الجديد[9]. وبها وافته المنية العام 365ه/975م عن عمر ناهز 45 سنة و ستة أشهر، بعد فترة حكم استمرت 23سنة وأزيد من خمسة أشهر قضى منها ما يربو عن السنتان في مقر حكمه الجديد[10].

ب- كتامة ومرافقة تكوُّن الدولة وتبني الاسماعيلية

---

[1] ابن حوقل، صورة الأرض، ص74.
[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص303.
[3] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص351.
[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص59.
[5] ابن حماد، المصدر السابق، ص48.
[6] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص63.
[7] ابن أبيالضياف، ص159.
[8] ابن ظافر الأزدي، ص102.
[9] محمد بن محمد الأندلسي، المصدر السابق، ص42.
[10] الجيلالي عبد الرحمان، ص65.

تكاد تجمع الروايات التاريخية، أن المعارضة العباسية لوجود المذهب الاسماعيلي بالمشرق، كان من بين أقوى الأسباب التي كانت وراء حضوره بالمنطقة.

اذ كان الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب قد أرسل بكل من عبدالله بن علي بن أحمد المشهور باسم الحلواني، وأبا سفيان الحسن بن القاسم كداعيين لنشر المذهب الاسماعيلي ببلاد المغرب[1]. وقد أوعز اليهما بتوصيته أن " اذهبا الى بلاد المغرب فإنكما تأتيان أرضا بورا، فاحرثاها وكرباها وذللاها الى أن يأتيها صاحب البذر"[2]. ووفق ذلك، استقر أبو سفيان بموضع قريب من مدينة تالة بأفريقية[3]. بينما كانت منطقة الناظور بالقرب من سوفجمار القريبة من مواطن كتامة مستقر الحلواني[4]. وأكد المقريزي ذلك بنزول أحدهما الديار الكُتامية[5]. ما يعني أن كتامة أول من تلقَّف تعاليم التشيُّع. ومن المؤكَّد أن هذا الاستقرار بين ظهراني الكُتاميين سيُشكّل احاطة بالوسط الاجتماعي الذي سيُسهّل في وقت لاحق نشاط الداعي أبي عبد الله عند تواصله معهم وحضوره بينهم[6]. اذ تشير رواية منسوبة لابن الأثير، أن أبا عبد الله التقى زمن موسم الحج بوفد كتامي كان من بيهم من يتحدث عن فضائل الامام علي بن أبي فبارك كلامه وأيده[7]. ما فهم منه انتشار التشيُّع وأخبار آل البيت بين أهل كتامة الذين صاروا مهيَّئين أكثر من ذي قبل لتقبُّل كل ما يرد اليهم من فكر يصب في ذات المجرى. وقد توطدت العلاقات بين أهل كتامة وأبي عبد الله الذي حل وافدا بينهم في ديارهم بعد رحلة عودتهم من المقدَّسات. وقد عرفه من تحدَّث اليه من أهل الرأي بالمنطقة أنه المعني بالبذر الذي ذكره الحلواني في وقت سابق[8].

وبعد مشاورات، تم الاتفاق على الاستقرار في منطقة فج الأخيار التي أشاد بها أبها عبد الله وعرف كيف يغازل أهلها بجميل ما جعل منهم مأسورين لكل ما يصدر عنه من قول. اذ توجه اليهم مخاطبا اياهم بأن هذا الفج ما سمي الا نسبة أليهم. و أنهم من الأخيار الذين ورد في حقهم أنهم أحق بهجرة

---

[1] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص41.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص11. أيمن قويدر، تطور الدعوة الاسماعيلية المبكرة حتى قيام الخلافة الفاطمية في المغرب، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، الدورة الثانية، المهدية، تونس، أوت 1997، وزارة الشؤون الثقافية، تونس، ص50.

[3] موسى لقبال، دور كتامة، ص216.

[4] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص41.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص45.

[6] سيف الدين القصير، ، ص82. فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب. التاريخ السياسي والمؤسسات، تر،حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص82.

[7] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص127.

[8] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص116.

الامام المهدي اليهم وسيكون منصورا بهم. اسمهم من الكتمان قد اشتق، فهم كتامة المتساكنين في فج الأخيار[1].

امتازت المنطقة محل الاختيار بما اتصفت به من حصانة كونها محصنة طبيعيا بالنظر لطبيعتها الجبلية التي تساعدها حال نشوب الحروب[2]. كما عرف عن أهلها ما استلهموه منها من جَلَد وشدة بأْس. ما سيساعدهم على توسيع سطوتهم على أوسع مجالات بلاد المغرب، وهو في كل ذلك منقادين وكأنهم سلبوا ارادتهم أمام بلاغة أبي عبد الله[3].

وتبقى العديد من الأسئلة التي لاتزال تبحث لها عن اجابات مقنعة تتمحور أساسا حول سر هذا الانقياد المطلق من قبل كتامة لأبي عبد الله. وهل هي مجرد سذاجة كما قد توصف. وهل ان كتامة كانت تنتظر أن يصل اليها أبا عبد الله لتكشف عن نواياها التوسعية.

أسئلة قد تترك الباب مشرعا أمام ما يبدو من حالة الغموض التي لم تنجلي في ظل انعدام المادة الخبرية الصريحة. لكن تبقى استجابة كتامة وانقيادها للإسماعيلية انما امتزجت فيها الرغبة والرهبة وتعانقت الدنيا والدين في رحابها[4].

تذكر الروايات، أن دخول أبي عبد الله الى ايكجان كان في حدود 15 بيع الأول 280ه / جوان893م[5]. ومن هناك انطلق في مباشرة الترويج للفكر الاسماعيلي معتمدا على معاونين له ومتجاوزا المخالفين له والمتخوّفين من تزايد نفوذه بلا شك.

ومع اطلاق سراح أبي عبيد الله ووصوله الى ايكجان، ستشهد الدعوة الاسماعيلية تطورا نحو مرحلة بناء الدولة التي كانت مع دخوله مدينة رقادة واتخاذها مقر سلطانه وقد بويع بالامامة في 21ربيع الأول عام 297ه/جانفي 910م[6]

5- الدولة المرابطية:

إن المرابطين « هم الذين وحدوا المغرب لأول مرة سياسيا ودينيا، وقضوا على التمزق السياسي والمذهبي»[1]. وهنا تبدو هاته العبارة بحاجة إلى عدم التعامل معها بمنطق الإجمال، ذلك أن الحركة

---

[1] نفسه، ص117.
[2] مرمول محمد الصالح، الدولة الفاطمية، ص162.
[3] ابن خلدون، المصدر **السابق، ج6، ص195. ابن عذرى، المصدر السابق، ج1، ص128.**
[4] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص – ص 121 – 123.
[5] Bouchamakamel, Islam points de reper, edutionelmarif, alger, 2007, p – p 123 – 126.
[6] القرشي، المصدر السابق، ص167. سيدة اسماعيل كاشف، (الدعوة الفاطمية في مصر قبل قيام الخلافة الفاطمية فيها)، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، تونس، 1997، ص 101.

المذهبية ببلاد المغرب ظلت قائمة على ما ميزها من أطياف مذهبية، مع ملاحظة أن ذلك لم يأخذ منحى الصراع أو التنازع، كما استطاع المرابطين ربما عبر الحواضر الصحراوية بالدرجة الأولى، أن يحققوا« المزج بين ثقافة وحضارة الأندلس مع ثقافة وحضارة المغرب و السودان »[2].

وقد كان يوسف بن تاشفين بن إبراهيم اللمتوني (500 هـ /1106م) من أبرز قيادات الدولة المرابطية، وكان بفضل جهاده « قد خطب له في بلاد المغرب على نحو ألفي منبر، ولم ينعقد بإيالته ما بين الأندلس والعدوة إلى جبال الذهب ببلاد السودان مكس ولا قرار جور »[3]. ما يعطي نوعا من الإشارة باحتمال أن تكون وارجلان مشمولة ضمن جغرافية الدولة،مع احتمال احتفاظها بخصوصيتها المشار إليها. إذ المؤكد أن حدود الدولة التاشفينية قد امتدت«من تونس شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا، ومن البحر المتوسط شمالا حتى حدود السودان جنوبا »[4].

وفي الصحراء حيث منطقة التماس بين المغرب والسودان. كان حرص ابن تاشفين واضح الأبجديات من خلال « رغبته في الحفاظ على وحدة المغرب والسودان، والاطمئنان على استتباب الأمن في الصحراء واتفاق قبائلها »[5]. ما قد يفسّر جانبا من احتمال وجود نوع من الاهتمام خاصة بأهم المعابر السودانية التي منها وارجلان مما قد لا يمكن التسليم معه بأنها لم تكن في إطار صلب اهتمامات ابن تاشفين، وإنما ربما لم يكن له الملمح الواضح الأثر حولها لكثرة انشغاله خاصة بالتحركات السياسية الرامية ربما للانفصال وتأكيد سيادتها على أراضيها.

ان دولة المرابطين مشكَّلة في انتماءها القبلي من جماعات صنهاجة المستقرة بعمق الصحراء[6]. وهم المعروفون باسم الملثمين[7] لما امتازوا به من كثرة الالتزام بلثام الوجه. وأهم مواطن هاته الجماعات تمتد ما بين غدامس شرقا الى البحر المحيط (المحيط الأطلسي) غربا، و من جبال درن شمال بلاد المغرب الى الصحراء الكبرى جنوبا.

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش: أضواء جديدة على المرابطين، دار المغرب الإسلامي، لبنان، ط 1، 1991، ص 33 .

[2] دندش: المرجع السابق، ص 34 .

[3] المصدر نفسه، ج 2، ص 388 .

[4] عبد الواحد ذنون طه: دراسات في تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي:دار المدار الإسلامي،ليبيا،ط1، 2004، ص 189 .

[5] دندش: المرج السابق، ص 67 .

[6] الطمار محمد بن عمرو، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص41.

[7] عن سبب تسميتهم بهذا الاسم ينظر، النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الارب في فنون الأدب، تح عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط، د ت)، ج24، ص 145.

قيام الدولة المرابطية: ارتبطت بداياتها بجهود يحي بن ابراهيم الجدالي أو الكدالي، الذي يعزى اليه ابتداء أمر حركة المرابطين التي كان منطلقها دعويا يقوم على محاولة اصلاح أمور الدين. تولى المهمة عبد الله بن ياسين الذي كان ينظر اليه فقيها منتسبا الى جزولة الصنهاجية.

المصادر تشير، الى أن خروج يحي بن ابراهيم الجدالي لأداء فريضة الحج. قد شكَّلت نقطة تحول في مسار تكوين الدولة. اذ كان قد عرف مدى الاحتياج لأهمية اتباع منهج السنة الصحيح. وفي طريق عبوره بالقيروان في طريق رجعته. التقى بأبي عمران الفاسي[1]الذي انتدب له عبد الله بن ياسين معلما لقومه، وكان فوق علمه وورعه ذا رأي وحسن تدبير[2]. التف حوله الناس من جماعات جدالة يأمرهم و ينهاهم، و يُعلمهم أمر دينهم. و بملازمتهم رابطته كان منطلق تسمية المرابطين[3] التي صارت سمة لصيقة بهم. والمميز في هذا انتساب علية القوم وخاصتهم من رموز جماعات لمتونة كيحي بن عمر المتزعم اياهم[4]. وما من شأنه أن يشكل دعما كبيرا يترجم مدى النجاح المحقق في هاته الآونة و ما سيكون له من انعكاس على مستقبل تكوُّن الدولة.

مع هذا الاختيار جاء التحرك باتجاه الشمال معية ابن ياسين في محاولة لإقامة الدين وتطهيره من الجانب الخرافي والعمل على اخضاع المنطقة سياسيا وتجاوز حالة التناحر القبلي والاضراب الحاصل[5]. وبذلك سينفتح عهد جديد للمرابطين ولعالم الاسلامي بأسره لما شكَّله هذا الاندفاع نحو الشمال من أهمية بالغة[6].

كان عمل المرابطين تحقيق النجاح في عملية اخضاع المغرب الأقصى تحت زعامة كل من عبد الله بن ياسين ويحي بن عمر اللمتوني وبمعاونة أبوبكر بن عمر اللمتوني. ومنها كان المنطلق نحو الصحراء الكبرى والوصول الى أودغشت وما كانت تمثله من أهمية متعددة الجوانب اعتبار من العام 446ه/1045م. وقد تكون ربما شكَّلت مصدر تهديد للأمن فكانت سرعة التحرك نحوها وما علق عليها ربما من أمل أن تكون بوابتهم نحو المجالات الغانية التي اتضح مع الوقت أنها كانت

---

[1] كان من أهم أعلام المذهب المالكي بعموم بلاد المغرب. يوصف بحافظ المذهب توفي في نحو العام 430هـ/ 1039م. للمزيد عنه ينظر، مركز الأبحاث والدراسات واحياء التراث، أبي عمران الفاسي، بحوث ندوة عليمة أقامها المركز بمناسبة مرور ألف عام على وفاة أبي عمران، الرباط المملكة المغربية، أفريل 2009، ط1، 2010. شذرات الذهب، ج3.

[2]النويري، المصدر نفسه، ج24، ص140.

[3]الميلي محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، الجزائر، ص282. وأن عبد الله بن ياسين قد نعتهم بذلك لما رأى منهم من صبرهم وشدة بلاءهم على أعدائهم. ينظر، ابن الخطيب محمد لسان الدين، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، مطبعة التقدم الاسلامية، تونس، ط1، (د ت)، ص10.

[4]الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، ص13.

[5]مجموعة مؤلفين، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص164.

[6] حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د ت، د ط)، ص – ص 186 – 187.

تتهاوى أمام الارادة المرابطية العازمة على فرض وجودها كقوة رئيسة بالمنطقة. و هو ما قد ينظر اليه من زاوية سقوط المملكة الغانية بصورتها النهائية في نحو العام 1076م[1].

اتجاه المرابطين الموالي كان مرتكزا على التأسيس للكيان السياسي وهيكلة التحرك، أين تمكنوا في اطار تحركهم ببلاد المغرب الأقصى من تأسيس مراكش كمدينة خاصة بهم نحو العام 462ه/1070م، ليوسِّعوا مجالات نفوذهم نحو مكناسة وفاس في نحو العام 467ه/1075م، وبعدها طنجة في العام 470ه/1078م. وصارت مراكش عاصمة مرابطية اتخذ فيها يوسف بن تاشفين زعيما متوليا بلقب أمير المؤمنين.

ان الدولة المرابطية بهذا التشكُّل قد حملت معها حقيقة التشكُّل السياسي الذي بدا ظاهرة تستحق الوقوف عندها ملية لانطلاقها من الاصلاح الديني الذي تحول سريعا الى حقيقة الكيان السياسي القادر على أن يفرض مكانته بين القوى الراهنة.

التحرك المرابطي بالمغرب الأوسط: كانت بلاد المغرب الأوسط في هاته الأثناء محكومة من قبل السلطة الزيانية. وكان سعي ابن تاشفين العمل للقضاء عليها فأرسل قائده العسكري ابن تيليكان في قوة من لمتونة في نحو العام 472ه/1082م[2]، ثم حركة العام الموالي التي استهدف فيها ابن تاشفين غزو تلمسان الزيانية وقد نجح في ذلك، وبلغت توسعاته شرقا حتى شملت الجزائر المدينة في نحو العام 474ه/1082م 479ه/1088م[3]. ما يعني أن الدولة المرينية قد شارفت حدود دولة بني حماد في بجاية التي كان لها موقف من هاته المتغيرات التي دفعت بها الى عمل كل ما من شأنه أن يؤمن لها وجودها السياسي.

و يبدو أن كل هاته التحركات كانت مندفعة بواقع ما كان ابن ياسين يدفعه في نفوس لمتونه لما كان قد رآه منهم من صبر وشدة بأس. اذ كان دوما يخاطبهم بقوله " أنكم قد صبرتم وناصرتم دين نبيكم صلى الله عليه وسلم وقد فتحتم ما أمامكم وستفتحون ان شاء الله ما وراءكم"[4]. و من منطلق ذلك جاء تحركهم نحو شمال الصحراء حيث بلاد المغرب اجمالا، و منها جاء التحرك نحو المغرب الأوسط والسعي لتوسيع السيطرة عليه بصورة كلية.

كما يبدو أن ابن ياسين الذي نجح في مسعاه وتحقيق وحدة قبلية كان لزاما عليه التفكير في ترجمة ذلك واقعيا بإيجاد مناطق نفوذ تحقق رغباتها الاقتصادية والسياسية على ما كان باديا.

---

[1] ك مادهوبانيكار، تاريخ الامبراطورية الزنجية في غرب افريقيا، تر أحمد فؤاد بليغ، ط2، لندن، 1998، ص86.

[2] ابن خلدون، العبر، ج2، ص185.

[3] رابح بونار، المغرب العربي، الجزائر، 1986، ص238.

[4] ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص 11.

6- الدولة الموحدية

أولا: شخصية المؤسس: هو محمد بن تومرت المنتسب لجماعات هرغة من مصمودة البربرية المتوطنة بالسوس الأقصى. ولد في نحو العام 471ه / 1078م.

عرف منذ صباه بتعلقه بالمساجد وشغفه بطلب العلم حيث باشر تعليمه في بلاد المغرب قبل أن ينتقل الى المشرق قصد الاستزادة وكان ذلك في نحو العام 501 ه / 1107م حسب ما أفاد به البيذق[1]. قبل عودته مجددا لبلاد المغرب وقد تشبع بأفكار جديدة كأفكار ابي حامد الغزالي والشيعة. التي كان لها حضورها بعموم المنطقة من ذي قبل. وفي أثناء عودته كمان التقاؤه في ملاَّلا بعبد المؤمن بن علي الذي رافقه الى مسقط رأسه بإيجليز بعد المرور بعديد البلاد. وفي أثناء ذلك أعلن عداءه الصريح للمرابطين وأبان ضلالهم. ليستقر به المقام في العام 518ه / 1124م في تينملل التي كانت ملتقى أخذ البيعة له من أتباعه الذين أقروا له بالمهدوية[2].

التأسيس: كان منطلقها فكرة دعوية هادفة للإصلاح. اذ أن اسم الموحِّدِين قائم على فكرة التوحيد الذي مثَّل أساس عقيدة الدولة[3].

ينتهي النسب لابن تومرت الى شخص الامام علي بن أبي طالب[4]. ما قد يعني حضور النسب الشريف في دعوته وهو الظاهرة الأكثر حضورا في بلاد المغرب في مساعي الوصول الى السلطة.

ثانيا: انهاء السيطرة المرابطية:

ارتبطت مسيرة الدولة الموحدية بشخص عبد المؤمن بن علي، الذي ينظر اليه أنه قد تولى السلطة في ظل وضع لا يحسد عليه وكان لزاما عليه استعادة ثقة الموحدين في دولتهم فانشغل في رأب الصدع وتعبئتها استعدادا للمواجهة مع المرابطين. وفي هذا يذكر ابن خلدون تحركه منطلقا من

---

[1] البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، تح عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 29.

[2] شرقي نوارة، الحياة الاجتماعية في الغرب الاسلامي في عهد الموحدين، (رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007 - 2008)، ص 18.

[3] عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت أبوعبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوي (ت 524هـ / 1129م)، حياته وآراؤه وثورته الفكرية الاجتماعية وأثره في المغرب، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 202.

[4] ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس ، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، 1973، ج1، ص 205.

تينملل في قوة قوامها نحو ثلاثون ألف محارب في نحو العام 526ه/ 1132م فكانت أول انتصاراته اجتيازه حصن تازا. ومع استمرار الحركة بدأ الوجود المرابطي يشهد المزيد من الانكسارات العسكرية خاصة في ظل انضمام بعض قادتهم الى جانب الموحدين وسقوط بعضهم قتلى مما عزز التقدم الموحدي مستفيدا في بعض الأحيان من حالات الخلاف التي وقعت بين جماعات لمتونه ومسوفة. سهل كل ذلك على الموحدين دخولهم فاس ثم مراكش بين شهري ذو القعدة وشوال من العام 540ه/1145م

و بهذا يكون الموحدون قد حققوا نجاحهم في انهاء الوجود المرابطي في مقر سلطانهم وما سيكون له من تأثير على حضورهم بالضفة الشمالية التي ستكون أيضا هدفا مُوجِّهًا لاستكمال المسار الوُحْدَوِي.

من الطبيعي أن الانتصار الذي تحقق بكل من فاس و مراكش سيكون مبعث اهتزاز السلطة المرابطية في ما عداها من المناطق. فقد أرسلت سبتة ببيعتها لعبد المؤمن بن علي وكذلك فعل أهل سلا. بعدها تطلع عبد المؤمن الى الأندلس التي استغلت بعد الجماعات فيها الوضع لتنقض عرى الطاعة المرابطية خاصة في اعقاب وفاة ابن تاشفين عام 539ه/1144م.لتتحرك الجيوش بتوجيه من عبدالمؤمن بن علي في شهر شعبان من العام 541ه/1146م. ونجحوا في القضاء على كل الخارجين عن السلطة وتمكنوا من ضم اشبيلية التي اتخذوا منها قاعدة لهم هناك وغرناطة وقد كانت سنة 555ه/1160م سنة انتصار الموحدين واستكمال السيطرة على بلاد الأندلس.

مرحلة ما بعد المؤسسين: وهي التي سيبرز فيها نجم كل من أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن و كذا ابنه المنصور اللذين كان لهما من الانجاز ما خلَّد ذكرهما.

فيوسف الموحدي تمكَّن من العبور نحو العدوة الأندلسية في العام 567ه/1171م، وحقق فتوحات كثيرة وهادن النصارى، واستمر في تحقيق النجاح الى غاية وفاته عام 580ه/1184م.

تولى من بعده ابنه يعقوب المنصور فكان أول ما واجهه سيطرة بنو غانية على بجاية والقلعة. وغلبوهم كما حققوا انتصارهم في معركة الأرك عام 591ه/ 1194م التي كانت آخر ما حققه المنصور الذي وافته المنية عام 595ه/ 1198م ليخلفه ابنه الناصر كاسر شوكة بنو غانية وقاهرهم.

اعتبارا من موقعة حصن العقاب في العام 609ه/1212م سجلت الدولة الموحدية بداية التراجع أمام حالة الاضطراب التي سادت عموم البلاد وظهور الحلاف داخل الأسرة الحاكمة وتراجع دور

المشايخ الموحدين الذين تم استبعادهم مما فرض على الدولة الموحدية حالة من التراجع العام في شتى الميادين[1]. واتجهت بلاد المغرب الاسلامي أمام هذا الواقع الى حالة من التشرذم السياسي في ظل ما ستشهده من انقسامات سياسية.

7- الدولة الزيانية (1230-1554)

الانتساب: يقال لهم الزيَّانيون أو بنو زيَّان أو بنو عبد الواد. أحد الجماعات البربرية التي يتصل نسبها بقبيلة زناتة البربرية التي كانت تؤثر حياة الترحال. منحهم الموحدين حكم تلمسان قبل استقلال أبي يحيى يغمراسن بن زيان بالحكم عقب سقوط الدولة الموحدية. تمكن خلالها من وضع قواعد و أسس دولة كانت تسعى لأن يكون لها موطأ قدم بين القوى المتصارعة في حينها. مستفيدة في ذلك من جملة عوامل لعل أبرزها طبيعة علاقتهم مع الموحدين الذين كانوا في حالة بحث عن الدعم القبلي لهم في مواجهة المد المرابطي بالجهات الشرقية من بلاد المغرب. فوجدوا في ذلك الدعم الزياني الذي قوبل بالاعتراف ورد الجميل بمنحهم مساحات واسعة حول تلمسان فدانوا لهم بالولاء. ومع تراجع نفوذ الموحدين انتهز جابر ابن يوسف الفرصة و أسس دولة بني عبد الواد التي أعلنت استقلالها في تلمسان عن سلطة الموحدين في العام 1235م على يد يغمراسن .

يضاف لذلك طبيعة سياستها على المستويين الخارجي والداخلي. اذ أن انحصار الدولة الزيانية بين القوة الحفصية في الشرق والمرينية في الغرب كان قد فرض عليها في ظل وجود منافسة من بعض الجماعات القبلية المحلية، قد فرض عليها ضرورة انتهاج سياسة خارجية معتمدة فيها على التوازن بين الجارين. الى جانب ما ميز سياستهم الداخلية من نجاح خاصة مع القبائل تفاديا لأي تحركات قد تستهدف حكمهم.

كما ان ما اتسمت به مدينة تلمسان التي نشأت فيها الدولة الزيانية من حصانة موقعها. كثيرا ما وقاها شر الغزاة و حال بينهم و بين احتلالها ، إضافة إلى ذلك قربها من الحدود المرينية اذ كثيرا ما نجحت في نقل المعركة الى ارض الخصم وعدم الاكتفاء بمجرد الدفاع.

أولا: تأسيس الدولة الزيانية:

[1] عز الدين عمرو موسى، الموحدون في الغرب الاسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الاسلامي، بيروت، بينان، ط1، 1991، ص55.

تعد موقعة حصن العقاب العام 1212 نقطة تحول في مستقبل الدولة الموحدية التي بدأ الضعف ينخرها فظهرت ثلاث قوى تتنافس على السلطة، اقتسمت في ما بينها السلطة السياسية ببلاد المغرب في تلك الأثناء سعى جابر ابن يوسف لدى الحكومة الموحدية حتى تتنازل له عن إدارة تلمسان، وهو ما تحقق له في نحو العام 1230، و ما إن جاءت سنة 1235 حتى أعلن يغمراسن استقلاله التام عن سلطان الموحدين . و أخذ يدعم و يعزز استقلاله بالمحافظة على الوحدة الداخلية و كذلك فعل أتباعه من بعده.

ثانيا: حدود الدولة الزيانية :

كما سبق و أن ذكرنا فإن "بنو زيان "ينتمون إلى قبيلة " عبد الواد " أحد فروع قبيلة زناتة التي قامت حياتها على الرعي والترحال في مضاربهم الممتدة من جبال سعيدة اليوم إلى ما يعرف بوادي ملوية. و في عهد الموحدين استقروا بتلمسان حيث أصبح جابر ابن يوسف أميرا عليها سنة 1230. ثم آلت الزعامة إلى يغمراسن بن زيان بن ثابت الذي أعلن استقلاله بإمارته على تلمسان سنة 1235 لتصبح بذلك الدولة الزيانية تحت حكم بني عبد الواد.

ثالثا: أهم مرحلة في تاريخ الدولة الزيانية (1359 – 1389) :

لما شرع يغمراسن في تأسيس الدولة انتقل بنو عبد الواد إلى التلال و الأرياف، فاستولت قبائل المعقل على موطنهم القديمة بالصحراء. و أخذ فسادهم يتعاظم. فاضطر يغمراسن لاستقدام جماعات من بني عامر من موطنهم بالصحراء إلى جواره للوقوف معه ضد عرب المعقل، و قد تبعتهم في ذلك فبائل حميان من بني يزيد، فصار لهم بذلك دورا أساسيا على الصعيدين السياسي و العسكري في الحفاظ على الدولة الزيانية . خاصة في عهد السلطان ابو حمو موسى الثاني 1359 – 1389 الذي يجمع المؤرخون أن فترة حكمه تعد أهم مراحل تاريخ الدولة الزيانية إثر مبايعته من قبل بنو عامر و حميان ، اللذين ساعدوه في القضاء على المرنيين عند احتلالهم تلمسان على يد السلطان أبو عنان 1352- 1359م وذلك في نحو العام 760هـ / 1359م.

وبالغم مما اعترى الدولة من تهديدات خارجية وصراعات داخلية. الا أن أبا حمو استطاع تحدي كل ذلك وتحقيق نهضة متعددة الجوانب. وقد دامت فترة حكم أبو حمو موسى الثاني حوالي 30 سنة (1359 - 1389)

رابعا: السياسة الداخلية والخارجية للدولة الزيانية

-داخليا: اتبع الزيانيون سياسة داخلية ميَّزتها الحكمة، فقد عمدوا إلى جمع كلمة الرعية و القضاء على المتمردين بشتى الطرق. كما قاموا بعدة إصلاحات تكفل لهم النجاح المطلوب.

- خارجيا : كان اهتمامهم بالسياسة الخارجية أكثر أهمية مما جعلهم دولة عسكرية ، بسبب الظروف التي كانت تحيط بهم غربا و شرقا و شمالا . وقد أسست الدولة الزيانية تلك العلاقة على أساس حسن الجوار والدفاع عن النفس في حال الأخطار.

فقد وطَّد الزيَّانيون علاقاتهم الدبلوماسية مع الجارة الحفصية، في ظل المصاهرة بين العائلتين الحاكمتين، رغم استمرار بعض التحرشات الحفصية التي دفعت بالسلطة الزيانية الى الهجوم على تونس في نحو العام 1328. وهوما كان وراء التحالف الحفصي المريني الذي اتفق على مباغتة الزيانيين من الجهتين . و هو ما تسبب في سقوط تلمسان في العام 1337. التي تنبهت الى ضرورة استعادة علاقاتها الحسنة مع دول الجوار والاهتمام بالبناء الداخلي. الا أن بنو حفص عاكسوهم في ذلك وربما لم يأمنوا جانبهم فباغتوا تلمسان مجددا ليسهموا بذلك في اعادة رسم الخارطة السياسية وفق المعطيات الواقعية المستجدة.

خامسا: علاقة الدولة الزيانية بالمرنيين:

اتسمت العلاقة في عمومها بالاضطراب والصراع الذي جعل كلى الطرفين يسعى كل منها الى القضاء على الأخر كلما سنحت له الفرصة. ولعل منبت الخلاف ما قد يتصل بالعلاقة الشرعية والتاريخية مع الدولة الموحدية. ومع استمرار هذا العداء تحقق للمرينيين ما كانوا يصبون اليه باحتلالهم العاصمة تلمسان في العام 1352، واستمروا في حكمها الى نحو العام 1359 حين نجح الزيَّانيون في استعادة السلطة الشرعية على بلادهم.

ويبدوا أن هذا الواقع بتقلبات موازين قواه العسكرية سيفرض على القوى الثلاث ضرورة التعايش السلمي فيما بينهم حفاظا على التوازن و الاستقرار المشترك.

علاقتها بالأندلس :

خلاف العلاقات المغاربية فقد استعاض على ذلك الزيَّانيُون بطيب علاقاتهم مع الأندلس وجرت المساعدات والتعاون بينهما بصورة متبادلة بينهم بشكل عام.

علاقتها بالقراصنة :

كانت السواحل المغاربية مثار أطماع القراصنة في الشمال، و هوما طبع العلاقات الثنائية بحالة من العدائية أما استمرار العدوان القراصني على الموانئ الجنوبية التي انتهت باحتلال العديد منها كمثل احتلال المرسى الكبير سنة 1505 ثم وهران سنة 1509 ثم توسع الإسبان في الموانئ الشرقية ليستولوا على مرافئ بجاية بداية سنة 1510 و خضعت لهم عقب ذلك عديد المدن الساحلية بالمنطقة. واستمر الوضع على ما هو عليه الى غاية ما حصل من تطورات ستشهدها المنطقة برمتها في وقت لاحق.

8- الدولة المرينية:

النسب المريني: حسب النسابة، فإن المرينيون يعودون في أصلهم لمجموع الجماعات الزناتية لاعتبارهم حسبهم فخذ منهم[1]. ويرى المرينيون في أنفسهم الأرفع شئنا من بين الزناتيين[2]. في مقابل ذلك يرجع البعض أصولهم الى العرب ويوصلونهم الى قيس بن عيلان[3]. وهذا ما دفع بالعض الى أن يرفع نسبهم الى علي بن أبي طالب استنادا لما قد سبقت الاشارة اليه.

استقرت معظم قبائل بني مرين في المنطقة الممتدة بين فكيك شرقا ونهر ملوية غربا[4]. لكن يبدو أن واقع الأحداث السياسية بالمنطقة سيكون له أثره في تغيير مواطن استقرارهم نحو بلاد المغرب الاقصى خاصة ما تعلق منها بالوضع السياسي والعسكري المرتبط بوضع الدولة الموحدية في أعقاب معركة حصن العقاب وما آلت أوضاع البلاد من حالة الفوضى التي وصفت بالعارمة[5].

ومع حلول العام 610ه/1213م كانت بدايات الحضور المريني ببلاد المغرب الأقصى. فبعثوا لبقية بني قومهم يستقدمونهم لما وجدوه في البلاد من زرع وضرع ووفرة ماء كان مغريا لهم بالقدوم[6]. وكان على رأسهم يومذاك الأمير عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة[7].

السيطرة المرينية على البلاد المغربية: كان الوضع المغربي متسما بالتعقيد في هاته الأثناء خاصة أمام المسعى الموحدي للمحافظة على كيانه ولو كان متهالكا. فقد ظهر في العام 613ه/ 1216م الخليفة الموحدي يوسف المنتصر مجهزا جيشا لاستئصال شأفة المرينيين. وكانت المعركة التي

---

[1]ابن أبي زرع، الذخيرة، ص14.ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص177. الاستقصا، ج3، ص3.
[2]نفسه، ص13.
[3]ابن خلدون، العبر، ج7، ص166. القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص194.
[4]ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص176.
[5]المراكشي، المعجب، ص321.
[6]ابن أبي زرع، الذخيرة، ص26.
[7]ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص169.

انهزم فيها المرينيون بداية الحضور المريني بصورة فاعلة في الساحة المغربية.وقدكان الخليفة الموحدي مدركا من البداية لخطورة هذا الحضور السياسي المريني فحرص على تأليب القبائل العربية كرياح واثارة الخلافات الداخلية في الوسط المريني واستمالة البعض منهم الى الجانب الموحدي الذي بدا في صورة المتزعم للحلف المعادي للوجود المريني الذي استدرك خطورة الموقف وسعى لتوحيد صفوفه وتجديد البعة للأمير عبد الحق و بيعته على النصرة[1]. لكن الأقدار قادت هذا الأخير الى حتفه وولده إدريس في أول معركة مع الجانب الموحدي عام 614ه/1217م[2]. الا أن المرينيين أصروا على تحقيق الانتصار في ظل قيادة الأمير الجديد أبو سعيد عثمان الذي استغل الوضع لصالح تحقيق طموحه في التوجه نحو فتح مدن مناطق جديدة[3].

تطورت الأوضاع بعد العام 616ه/1219م. حيث ضعفت السلطة الموحدية. و لم تستمر رابطة الاتحاد الذي جمع سلفا عددا من الجماعات القبلية. فاستغل أبو سعيد الوضع لصالحهوبسط نفوذه على عدد المجالات الجديدة وحصل على بيعة عدد من الجماعات و أخضع البعض الآخر وسلم له الجميع بالخراج اعترافا بنفوذه السياسي عليهم[4]. اذ لم ينقضي العام 625ه/1228م، الا و كانت معظم القبائل حتى نهر ملوية خاضعة للنفوذ المريني[5].

بعد مقتل ابي سعيد، سار أخاه محمد الذي خلفه على ذات منهجه في مقارعة الموحدين واعلاء مكان المرينيين. لكنه لم يعمر طويلا فعاجلته المنية عام 642ه/1244م ليخلفه أخاه ابا بكر الذي نجح في وقت لاحق في دخول فاس والاستيلاء عليها عام 646ه/1248م[6].

توطيد أركان الدولة المرينية:بعد وفاة الأمير أبا بكر كان قد نشب خلاف داخلي في شأن من يستخلفه في منصبه. وانتهى الأمر لصالح السلطان يعقوب بن عبد الحق الذي شرع بعد سقوط العاصمة الموحدية مراكش في توطيد أركان دولته. اذ شرع منذ العام 669ه/1270م في التحرك لفرض السيادة على كامل البلاد وتأديب الجماعات التي لاتزال خارج دائرة السلطة[7].وفي العام 670ه/1271م فرضت عليه الظروف المواجهة مع بني زيان وحقق انتصاره عليهم وضمن

---

[1]ابن أبي زرع، الأنيس، ص 286.
[2]ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 170. الناصري، الاستقصا، ج3، ص7.
[3]ابن أبي زرع، الأنيس، ص288. الناصري، المصدر السابق، ج3، ص9.
[4]ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 171. الناصري، المصدر السابق، ج3، ص10.
[5]ابن أبي زرع، الذخيرة، ص37.
[6]ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص174.
[7]ابن أبي زرع، الأنيس، ص307.

حيادهم[1]. وفي بدايات العام 672ه/ 1273م بدأ تحركه نحو المناطق الشمالية لما تكتسيه من استراتيجية و كونها معبر رئيسة نحو بلاد الأندلس فتحرك نحو طنجة التي استسلمت له ودخلها عام 673ه/1274م[2]. وصار كل الأمر اليه لا ينازعه فيه أحد.

ولعل هذا الواقع هو الذي سيجع من الدولة المرينية قادرة على أن تكون لها سياساتها الخاصة في كل من بلاد الأندلس من جهة ومع الممالك النصرانية من جهة ثانية. ما يمكن معه التأكيد على واقع ما أصبحت عليه الدولة المرينية من كيان سياسي متميز جعل منها كيانا له حضوره بين السياسات الدولية وقتذاك كقوة اقليمية و دولية تراعى لها الحسابات من كل الأطراف على كل الأصعدة.

الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى تح جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1997. ت1375ه/1897م

ابن أبي زرع علي بن عبد الله أبي زرع الفاسي، ت 741ه/ 1340م الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب الأقصى، 1972.

الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، المغرب الأقصى، ط2، 1972.

9- الدولة الحفصية

ينسب الحفصيون سياسيا الى أبو حفص عمر بن يحي الهنتاتي. وهو من المقربين من الامام محمد بن تومرت ومحل ثقته و أخد الشيوخ المعتمد عليهم في بلاط جكمه لقدم العلاقة التي تربطه به منذ العام 514ه / 1120م[3]. ومن المؤكد أن هاته العلاقة سيكون لها الأثر على أفراد عائلة الشيخ أبي حفص، اذ ستكون لهم الحضوة في البلاط الموحدي

ابتدأ حكم الحفصيين للبلاد التونسية مع الشيع أبو محمد بن عبد الواحد الذي التحق بمنصبه اعتبارا من ذو القعدة عام 623ه/ 1226م. ليجد نفسه في مواجهة مع قبيلة هوَّارة و مع ابن غانية الذي استمر في مطاردته غربا الى حدود وادي الشلف. ومع عودته استقبل انقلابا نفذه والي قابس وقتئذ

---

[1]ابن أبي زرع، الذخيرة، ص130.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص188. ابن أبي زرع، الأنيس، ص312.

[3]روباربرونشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 م الى نهاية القرن 15م، تر حمَّادي السَّاحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ح1، ص42.

الأمير أبو زكريا يحيالذي نجح مع دعم الزعامات الجنوبية له في دخول العاصمة تونس في نحو العام 625ه/1228م[1]. وقد اعلن انفصاله عن سلطة الموحدين في حدود العام 628ه/1230م.فاستحوذ على قسنطينة وبجاية. وبفضل اعتماده على سلك الموحدين والجنود المنضبطين استطاع أن يحقق أمن واستقرار البلاد على أكثر من صعيد.

توفي الأمير أبوزكريا عام 674ه/ 1249م[2]. ليتولى الأمر من بعد ولده أبو عبد الله محمد المنتصر أو المستنصر الذي قبل في البداية اسم الأمير ليتسمى بعدها بالسلطان وانتهى الى لقب الخلافة. وقد أظهر مذ عامه الأول قدرنه على مواجهة المحاولات الموحدية الهادفة للقضاء على أسرته بإفشاله الانتفاضة التي قامت داخل الحاشية الملكية عام 675ه/1250م[3]. وباشر باستحداث تغييرات من شأنها اعطاء الهيبة اللازمة للسرة الحاكمة واضفاء تحسينات على الوضع العام للقصر و لعاصمة الحكم. كما سعى لتأسيس علاقات تجارية متميزة خاصة مع المدن الايطالية وعلاقات مجاملة مع فلورانس واسبانيا[4]. بل انالأمر وصل لحد وصول البيعة من بلاد الحجاز في أعقاب سقوط الخلافة العباسية في العام 656ه / 1260م و أصبح ينظر ربما الى الأمير الحفصي على أساس اعتباره خليفة المسلمين[5].

نوفي الخليفة المستنصر الحفصي لمرض ألم به في العام 675ه/ 1276م تاركا الحكم لولد أبو زكريا يحي الواثق بالله[6].الذي يمكن اعتبار فترة حكمه بداية التراجع السياسي بالنظر الى ما ذكره ابن خلدون في اشارته الى ما اعترى الدولة عقب وفاة المستنصر اذ تراجعت من بعده أدراجه حسب ما أفاد به . حيث ستشهد على ما يفهم من هذ الكلام حالة من انطفاء بعض بريقها وتراجع صداها. و لا نشك أن مرد ذلك ما كان متراكما من أسباب على المستويين الداخلي والخارجي.

ورغم ما قام به الواثق بالله من مبادرات و ما حققه من منجزات. الا أنه لم يستطع معالجة الصراع داخل البلاط خاصة من قبل العناصر الأندلسية ذات النفوذ الكبير في مفاصل الحكم[7]. من ذلك ما

---

[1] برونشفيك، المرجع الاسبق، ج1، ص – ص 47 – 49.
[2] ابن الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد، الأدلة البية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984، ص 60.
[3] برونشفيك، المرجع السابق، ص – ص 79 – 80.
[4] نفسه، ص – ص 72 – 75.
[5] نفسه، ج1، ص – ص 76 – 77.
[6] ابن الشماع، المصدر السابق، ص 73.
[7] المطوي محمد العروسي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في الغرب الاسلامي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص – ص 229 – 234.

أشار اليه ابن القنفذ القسنطيني في قوله بغلبة ابن عبد الملك المعروف بالحميري[1]. كما أن قصر مدة حكم الواثق وانتهاءه بمقتله و ارغام حليفته أبا اسحاق على التنازل و لم يكن قد مضى على حكمهما ما يزيد عن السنوات الثلاث الا قليلا تحمل في ثناياها اشارة واضحة عن اضطراب الوضع غير المتحكم فيه و أن من يتولى الحكم لا يملك القدرة على البقاء فيه بما يعني دخول البلاد في حالة من الفوضى وانعدام الاستقرار.

كانهذا الوضع يحمل في ثناياه اشارة واضحة المعالم لهشاشة الوضع الداخلي الذي صارت عليه الدولة الحفصية التي يبدو أنها ستفقد عرشها نحو العام لصالح رجل عرف باسم ابن أبي عمارة الذي انتصر على الحفصيين في معركة مرماجنة عام 682ه/1283م[2]. الى غاية نجاح عمر الحفصي عام 683ه/1284م من استعادة الحكم مجددا و كشف أمر ابن أبي عمارة الذي اعترف أنه ابن أبي عمارة المسيلي الوافد من بجاية. فكان قتله تأكيد استعادة السلطة الحفصية أصلها الأُسَرِي[3].

الا أن ذلك لميكن ليعني سلامة الدولة الحفصية أو الابقاء على قوتها. بل ربما كان الأمر خلاف ذذلط تماما. فرغم ما تسمت به شخصية أبو عمر الحفصي من سماحة، الا أن عهده عُدَ لدى الدارسين عهد تمزق السلطة وانفراط عقد وحدتها السياسية الى جانب ما قد طفى على السطح من تزايد لمستوى حالة العداء الخارجي الهادف للاستيلاء على بعض أجزاءها[4] والذي لم يكن ليكون لولا ادراكهم لحالة الوهن الداخلي التي صارت عليها البلاد في مختلف ربوعها.

ففي الوقت الذي كان فيه الصراع قائما لبين أركان السلطة الحفصية. جاءت حركة صاحب تلمسان كصورة من صور التدخل الخارجي الذي ازداد اتضاحا مع ظهور الاسبان على المسرح السياسي الحفصي[5]. ما يظهر البلاد و كأنها صارت مستباحة في ظل حالة الترهل والصراع التي أثرت سلبا على هيبتها السياسية. وقد تجرأ الاسبان على حرمة البلاد التونسية فاحتلوا السواحل الجربية عام 683ه/1284م[6]. و ربما البعض اعطى تفسيرا لهذا الحال مستندا فيه لاحتمال ما يكون ربما قائما

---

[1] ابن القنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص 137.

[2] المطوري، المرجع السابق، ص – ص 254 – 256.

[3] ابن القنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص145.

[4] المطوري، المرجع السابق، ص266.

[5] نفسه، ص – ص 270 – 271.

[6] نفسه، ص 273.

من خلاف مع السلطة المركزية بحكم التباين المذهبي بينهما. لكنه في كل الأحوال هو وليد حالة الضعف التي عجزت أمامها السلطة عن حماية أراضيها.

وهو المشهد الذي سيظل قائما الى غاية زوال السلطة الحفصية وخضوع البلاد التونسية ضحية التدخلات الخارجية.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة

المصادر

ابن أبي الضياف أحمد، اتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية، تونس، ط2، 1976.

ابن أبي دينار أبي عبد الله محمد، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، تح، محمد شمام، المكتبة العتيقة، ط3.

ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، منصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1972.

ابن الأبّار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، كتاب الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1985

ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تج أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

ابن الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من من الكلام، تح، سيد كروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

ابن الخطيب محمد لسان الدين، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، مطبعة التقدم الاسلامية، تونس، ط1، (د ت).

ابن الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984.

ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس ، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، 1973.

ابن القنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.

أبوالقاسم ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، لبنان، (د.ط)، 1989

ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، تح، عبدالرحمان علي حجي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ص34.

ابن خلدون عبد الرحمان، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط4، 2000.

خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط (العصفري)،تح سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع، لبنان، 1993.

أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1985

ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، تح، علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2001.

ابن ظافر الأزدي.

أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن أنس وأصحابه، المكتبة العربية، دمشق، ط4، 1966.
ابن عذارى المراكشي أبو عبد الله محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح، ج س كولان و ليفي بوفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1983.
أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، **مسالك الممالك**، دار صادر، بيروت، لبنان، 1927.
أبو الفتح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري، بيروت، لبنان.
أبو الفتوح محمد الشهرستاني، الملل و النحل، دار المعرفة، لبنان، ط 2، 1975.
أبو بكر محمد بن محمد الهمذاني، **مختصر كتاب البلدان**، دار صادر، لبنان، 1884.
أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، كتاب سير الأيمة وأخبارهم، تح اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1979.
أبو عبد الله بن الخطيب، رقم الحل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس.
أبو محمد بن عبد الله بن مسلم الدينوري (ابن قتيبة):الإمامة و السياسة، دار المعرفة، لبنان،(د،ط،ت).
أبو محمد علي بن محمد بن حزم، الفصل في الملل و الأهواء و النحل، دار المعرفة، لبنان، (د.ط)، 1983.
أحمد بن جابر بن يحي البلاذري، **كتاب جمل من أنساب الأشراف**، تح سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1996.
أحمد بن يحي بن جابر البغدادي، **كتاب فتوح البلدان**، شركة طبع الكتب العربية، مصر،1901.
الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.
الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء أفريقية، تح محمد زينهم محمد عزب، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2012

سليمان باشا الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، دار الحكمة، لندن، ط1، 2005.
أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر افريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، (د ط، دت) .
البلاذري، أحمد بن يحي، **فتوح البلدان**، تح عبد اللطيف أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، لبنان، 1987.
البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، تح عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
التجاني أبي محمد عبد الله بن أحمد، رحلة التجاني، دار العربية للكتاب، تونس، 1981.
تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد الحسيني العبيدي المقريزي، المقفى الكبير، تح محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1991.
الحسن بن محمد الوزان: وصف إفريقيا، ت محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1983.
محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984

أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسدي الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، (د ط).

أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، تح ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974.
الذهبي شمس الدين محمد، سير أعلام النبلاء، تح، محمد أسعد طلس، دار المعارف، القاهرة، مصر.
أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني، افريقية والمغرب، تح محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1994
الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **كتاب الجغرافية**، تح محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د ت).
الشماخي أبو العباس أحمد بن سعيد، كتاب السير، دار الأبحاث، تلمسان، الجزائر، ط1، 2001.
أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1971.

زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د ط ت)

لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، (د ط)، 1964

المالكي، رياض النفوس، تح البشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م
العدواني محمد، تاريخ العدواني، تح أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، لبنان،(د ط)، 1995

المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكرالخطط و الآثار، القاهرة.

مؤلف مجهول، **تاريخ ملوك القسطنطينية**، تح طارق منصور، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 2008.
مؤلف مجهول، **تاريخ ملوك القسطنطينية**، تح منصور طارق، القاهرة، مصر، 2008.
مؤلف مجهول، **مفاخر** البربر.
الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى.
نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، اللمعة المرضية من أشعة الاباضية، موقع إلكتروني www.istiqama.net.
النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الارب في فنون الأدب، تح عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط، د ت).
النويري، شهاب الدين أبو العباس أحمد، نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، تح حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1983م.
الوسياني، مجموعة سير الوسياني، طبعة وزارة الثقافة العمانية.

المـــــراجـــع

ابراهيم بحاز بكير، الدولة الرستمية 160 - 269 هـ/ 777 – 909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لافوميك، الجزائر، ط1، 1987.
أحمد الأسود، **افريقية في عصر الولاة دراسة سياسية اجتماعية اقتصادية**(أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، غير مطبوعة، جامعة تونس، 2007-2008 .
أحمد الشيخ بالحاج، الظروف السياسية لنشأة الفرقة الاباضية، الجمعية الثقافية نجم الدين الإسلامي،الجزائر،1998.
أحمد مولود ولد أيده، الصحراء الكبرى. **مدن وقصور**، دار المعرفة، الجزائر، .2009.
اسماعيل العربي، **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط، د ت).
أعزام، غصن البان في تاريخ وارجلان.
ألبير نصري نادر، أهم الفرق الإسلامية السياسية و الكلامية، المطبعة الكاثوليكية،لبنان،ط2، 1966.
أيمن قويدر، تطور الدعوة الاسماعيلية المبكرة حتى قيام الخلافة الفاطمية في المغرب، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، الدورة الثانية، المهدية، تونس، أوت 1997، وزارة الشؤون الثقافية، تونس.
باقة رشيد، **(الأقليات الدينية في بلاد المغرب ومدى مساهمتها في ازدهار الحياة الاقتصادية من الفتح إلى العهد الموحدي)**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ع4، أكتوبر 2004.
بحاز ابراهيم وآخرون، **معجم أعلام الاباضية**، المطبعة العربية، القرارة، الجزائر، ط1، 1999.

بوخالفة نور الهدى، **(استقرار العرب وانشاء المدن والقرى في المغرب الوسيط)**، أعمال الملتقى الدولي: التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور ، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، أفريل 2001.
بوخالفة نور الهدى، **الاسلام والتعريب في الشمال الافريقي في القرون الثلاثة الأولى** (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1986).
الثعالبي عبد العزيز، تاريخ شمال أفريقيا من الفتح الاسلامي الى نهاية الدولة الأغلبية، تح أحمد بن ميلاد و محمد ادريس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1990.
الجباري عثماني وآخرون، **الشيخ الأمين غمام عمارة مسيرته وآثاره 1920-1983**، مطبعة سخري، الوادي، هامش رقم 100.
جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984

جورج مارسييه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر محمد عبد الصمد هيكل، مطبعة الانتصار، القاهرة، مصر، 1991

حاجيات عبد الحميد، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، مطبعة الديوان، الجزائر،ص98.
حجازي عثمان، تطور الفكر الاباضي في شمال إفريقيا، المكتبة العصرية، لبنان، ط 1، 2000.
حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 2009.
حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د ت، د ط)، ص – ص 186 – 187.
الحسن السائح، **الحضارة الاسلامية في المغرب**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1986.
خالدي مسعود، **(الصلات الاقتصادية والدبلوماسية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي وأثرها على الحياة الثقافية بين القرنين الثاني والثالث الهجريين)**، مجلة كان التاريخية، السنة السادسة،ع20، 2013.
خليفات محمد عوض، نشأة الحركة الاباضية، الجامعة الأردنية، الأردن، ط 1، 1978.
داود علي الفاضلي، **أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، ، 1973.
دائرة المعارف الإسلامية.
رابح بونار، المغرب العربي، الجزائر، 1986.
روباربرونشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 م الى نهاية القرن 15م، تر حمَّادي السَّاحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988.
روبين دانيال، **أصول التراث المسيحي في شمال أفريقيا**. دراسة تاريخية عن القرنين الأولين، مؤسسة تامنغاست، ليبيا، (د. ت).
ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، تر عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1997.
سيدة اسماعيل كاشف، (الدعوة الفاطمية في مصر قبل قيام الخلافة الفاطمية فيها)، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، تونس، 1997.
شارل أنري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية.
شرقي نوارة، الحياة الاجتماعية في الغرب الاسلامي في عهد الموحدين، (رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007 - 2008).
صالح بن قربه، **من قضايا التاريخ والآثار في الحضارة العربية الاسلامية**، دار الهدى، عين مليله، الجزائر، 2012.
الطالبي، الدولة الأغلبية.
الطمار محمد بن عمرو، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

الطيب بوسعدة، **(دور علماء طبنة في العصور الاسلامية الوسطى)**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، ع3، 2008.
عامر النجار، الاباضية، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د.ط)، 2004.
عبد الحميد عمران، **الديانة المسيحية في المغرب القديم. النشأة والتطور** (أطروحة دكتوراه غير مطبوعة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2010 - 2011).
عبد الرحمان حسين العزاوي، **المغرب العربي في العصر الاسلامي**، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.، ط1، 2011.
عبد العزيز فيلالي، المظاهر الكبرى لعصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس،1991.
عبد العظيم رمضان، **الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الاسلام الى انتهاء الحروب الصليبية**، دار المعارف، القاهرة.
عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، دار المعرفة، لبنان، ط 2.
عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها الى مصر الى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، دار الثقافة، القاهرة، مصر، 1991.
عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت أبوعبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوي (ت 524هـ / 1129م)، حياته وآراؤه وثورته الفكرية الاجتماعية وأثره في المغرب، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983.
عبد الواحد ذنون طه: دراسات في تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي:دار المدار الإسلامي،ليبيا،ط1، 2004.
العربي عقون، **الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية**، التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2010.
عز الدين عمرو موسى، الموحدون في الغرب الاسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الاسلامي، بيروت، بينان، ط1، 1991.
عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، مصر، 1984

عصمت عبد اللطيف دندش: أضواء جديدة على المرابطين، دار المغرب الإسلامي، لبنان، ط 1، 1991.
علاوة عمارة، **(أسلمة بلاد المغرب ق 2 – 6ه/ 9 – 12م: محاولة في التحقيب والآليات)**،ضمن أعمال الملتقى الدولي حول الأسلمة والتعريب في المغرب والمشرق في العهد الوسيط، تونس 26 – 28 فيفري 2012، نشر مخبر العالم العربي الاسلامي الوسيط، جامعة تونس، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، 2015.
علاوة عمارة، **ظهور وانتشار الاباضية في الأوراس، مجلة المعارف، العدد 9**.
علي محمد الصلابي، فكرة الخوارج و الشيعة في ميزان أهل السنة و الجماعة، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، مصر،ط1، 2005
علي محمود عبد اللطيف الجندي، **البربر في أفريقية في العصر الأموي** (رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية بالقهرة، قسم التاريخ و الحضارة، جامعة الأزهر، مصر، د ت).
علي مصطفى الغوابي، تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، مصر، (د. ط).
علي يحي معمر، الاباضية بين الفرق الإسلامية، جمعية التراث (غرداية)، الجزائر، ط 2003،3.
عماد الدين إدريس الداعي، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، ط1، لبنان، 1985.
عمر بن الحاج محمد صالح با (عمر با)، دراسات في الفكر الاباضي (د ط، ت).
عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الاباضية ، الجامعة الأردنية، الأردن، (د،ط،ت).
فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب. التاريخ السياسي والمؤسسات، تر، حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1994.
ك مادهوبانيكار، تاريخ الامبراطورية الزنجية في غرب افريقيا، تر أحمد فؤاد بليغ، ط2، لندن، 1998.

كاربخال:المصدر السابق،ج3.
كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الاسلامية**، تر نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، ط10، 1984.
كولين ماكيفيدي، **أطلس التاريخ الأفريقي**، تر مختار السويفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1987.
لونيس عامر، (رسالة في بيان كل فرقة لأبي عمرو عثمان بن خليفة السوفيالمارغني الاباضي)، مجلة جامعة الزيتونة، تونس، ع 3، 1995.
ليليا بنسالم وآخرين، **الانتروبولوجيا والتاريخ – حالة المغرب العربي**، تر عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال،المغرب،1988. محمد البركه، **(الطوبونيميا والبحث التاريخي محاولة في تجديد أليات البحث التاريخي)**، مجلة كان التاريخية، السنة السادسة، العدد24، 2014.
مجلة دراسات، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، مجلد 27، ع 2، نوفمبر 2000.
مجموعة مؤلفين، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
محمد أبو راس بن أحمد الناصري المعسكري، **الاصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة**، تح أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، 2010.
محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج1، 1999
محمد الطالبي، **الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184 – 296ه / 800 – 909م**، تر المنجيالصيَّادي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 1995.
محمد الطمار، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
محمد حسين فنطر، **(اللوبيون وحدة أم شتات قبائل وشعوبمختلفة)**، مجلة أفرقيه للدراسات الفنيقيةوالبونية والآثار اللوبية، ع12، منشورات المعهد الوطني للتراث، تونس، 2002 .
محمد سعيد الشيباني، تاريخ إباضية تامزغا، مطبعة plusJmsتونس، 2013
محمد صالح ناصر، منهج الدعوة عند الاباضية، جمعية التراث (غرداية)، الجزائر، ط 2، 1999.
محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1987.
محمد محمد زيتون، **المسلمون في المغرب والأندلس**، دار الكتب، مصر، 1990.
محمود أحمد، **مقدمة في تاريخ المغرب الاجتماعي والاقتصادي**، شركة Elgala، مالطا، ايطاليا، 1997، ص108.
محمود اسماعيل عبد الرازق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتص القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط3، 1985.
مركز الأبحاث والدراسات واحياء التراث، أبي عمران الفاسي، بحوث ندوة عليمة أقامها المركز بمناسبة مرور ألف عام على وفاة أبي عمران، الرباطأ المملكة المغربية، أفريل 2009، ط1، 2010.
مرمول محمد الصالح، الدولة الفاطمية.
مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، **القبائل العربية في بلاد المغرب في عصري المرابطين وبني مرين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
مصطفى بن محمد بن إدريسو، الفكر العقدي عند الاباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، جمعية التراث (غرداية)، الجزائر، ط 1، 2003.
المطوي محمد العروسي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في الغرب الاسلامي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1986.
ممدوح حسين وشاكر مصطفى، **الحروب الصليبية في شمال أفريقية وأثرها الحضاري**، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، .1998.

مهما عيساوي، **المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ الى عشية الفتح الاسلامي**، (أطروحة دكتوراه علوم في تاريخ المغرب القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، الموسم الجامعي، 2009 - 2010).
موسى لقبال، المغرب الاسلامي من بناء معسكر القرن حتى نهاية ثورات الخوارج، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.
موسى لقبال، در كتامة.
الميلي محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحيث، الجزائر.
ناجية أحمد، **وضع القبائل البربرية في المغرب الأدنى والأوسط من وفاة الكاهنة الى نهاية العهد الأغلبي** (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، تونس)، 2013.
الهادي حارش، **التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري**، المؤسسة الجزائرية للطباعة والنشر، الجزائر، 1992.
هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط2، 2008

يوحنا الآسيوي، **تاريخ الكنيسة**، تر صلاح عبد العزيز محجوب ، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2000.
يوسف بن أحمد حواله، **الحياة العلمية في افريقية من الفتح وحتى منتصف القرن ق5ه**، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط1، 2000.
يوسف عيبش، **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي** (أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر)، 2006 - 2007 .

Bouchamakamel, Islam points de reper, edutionelmarif, alger, 2007.
Brehier (l), **Gregoire le grand et la conquete de l'afrique de nord** ¨par les arabes, blond and gay, paris.
Decert - français , **L'afrique du nord dans l'antiquié**, editionpayot, paris , 1982.
Houari Touati, **Histoire générale de L'algérie médiévale**, zaytouna.
La traversée du chott el-djérid ou moyen age. revue de L'institut belles Lettres arabes,68 année,2005.
Les Innovation de nafta b-Nasr ou Le troisiém schisme chez Les Ibaditesn, al-qantararevista de studios arabes, csic- madrid, españa VXXXIV, 2013.
Med Sadokbelhochi**, la conversienne des berbères à l'islam.** maison tunisienne de l'edition, 1981.
Mesnage (J) , **Le christianisme en afrique, auguste picard**, paris,1914.
Procope de césarée, **histoire secrète**, traduit par pierre moraval, les belles lettres, paris,1990.
Tadeusz Lewicki, **Les Ibàdites en tunisie au moyen age**, accademiàplacca di scienceeletterebiblioteca di roma,1958.
Vassilier, **l'empire byzantin**, traduit par p-brodin a, bourguira, éditions, ricard,paris,1932.
VérginieProvest, **Laqastiya médiévale et toponymie du djérid tunisien**. foliaorientalia,vol 42 – 43, 2006 – 2007.
Victor de vito, **Histoire de la tersécution vandales en afrique**, traduit par sevgelamcef, les belles lettres, paris, 2002.